مجلة الإحياء، المجلد 26، العدد: 39، جويلية 2026، ص - ص: 159-186
الترقيم الدولي: 1112-4350 الترقيم الدولي الإلكتروني: 2588-2406

التفسير النفسي للقرآن الكريم بين الإرهاصات والممارسات

Psychological Interpretation (Exegesis) of the Holy Quran Between Early precursors and Practices

د/ سامية ديبي
Samia DIBI
كلية العلوم الإسلامية - جامعة باتنة1
مخبر العلوم الإسلامية في الجزائر
samia.dibi@univ-batna.dz

تاريخ الإرسال: 2026/01/17 تاريخ القبول: 2026/07/24

الملخص:
يتناول هذا البحث موضوع التفسير النفسي للقرآن الكريم بين الإرهاصات والممارسات، بوصفه اتجاهًا تفسيريًا من اتجاهات التفسير الموضوعي، يُعنى بالكشف عن المعاني النفسية في الخطاب القرآني وأثره في بناء النفس الإنسانية وتزكيتها. يعالج **المحور الأول** مفهوم التفسير النفسي والأدلة على مشروعيته وأنواعه.
أما **المحور الثاني** فيتناول الجذور التراثية للتفسير النفسي، من خلال تتبع إشاراته عند المفسرين الأوائل وعلماء السلوك والتزكية، حيث برز الاهتمام بأحوال النفس وأمراض القلوب وآثار الخطاب القرآني فيها، وإن لم يُصَغ في قالب اصطلاحي مستقل، بل جاء الحديث عنه ضمنا.
ويذكر **المحور الثالث** أبرز المقاربات المعاصرة للتفسير النفسي، التي حاولت التركيز على الجوانب النفسية في النص القرآني، مع تفاوتها في المنهج والالتزام العلمي، بين مؤلفات نظرية وتطبيقية وممزوجة.
ويُعنى **المحور الرابع** ببيان ضوابط التفسير النفسي، تأكيدًا على ضرورة الانطلاق من القرآن للوصول إلى الرؤية النفسية، ووجوب ضبطه بأصول التفسير، ومنع الإسقاطات النفسية غير المنضبطة.
ويختتم البحث **بمحور خامس** يتطرق **للمسات نفسية من سورة الفاتحة**، تبرز في نسق نفسي متكامل دورها في تحقيق معاني نفسية إيجابية كالطمأنينة، وترسيخ معاني التوكل والعبودية والرجاء، وتحذر من مشاعر سلبية خطيرة كالإحساس بالفراغ الروحي والقلق الوجودي والتعنت الفكري.
الكلمات المفتاحية: التفسير النفسي؛ القرآن الكريم؛ الإرهاصات؛ الممارسات.

Abstract:
This study addresses the topic of **psychological interpretation of the Quran** between its historical traces and contemporary practices, as an interpretive approach within the framework of objective exegesis. It focuses on uncovering the psychological meanings in the Qur'anic discourse and their impact on shaping and purifying the human psyche.

The first section examines the concept of psychological interpretation, its legitimacy, and its types, providing a precise definition and outlining evidence supporting its validity and classifications.

The second section explores the **historical roots of psychological interpretation**, tracing its indications among early commentators and scholars of behavior and spiritual purification. This shows their interest in the conditions of the soul, diseases of the heart, and the effects of the Quranic discourse, even though these were not formulated in a distinct terminological framework, but mentioned implicitly.

The third section presents the most prominent **contemporary approaches** to psychological interpretation, highlighting attempts to focus on the psychological aspects of the Quranic text, with variations in methodology and scientific rigor and encompassing theoretical, applied, and integrative works.

The fourth section outlines the **methodological guidelines** for psychological interpretation, emphasizing the necessity of starting from the Quran itself, adhering to exegetical principles, and avoiding uncontrolled psychological projections.

The study concludes with a **fifth section** that addresses psychological insights drawn from Surah al-Fātiḥah. Within an integrated psychological framework, it highlights the role of this surah in cultivating positive psychological meanings such as tranquility, and in reinforcing the values of reliance upon God, servitude, and hope. It also warns against serious negative psychological states such as a sense of spiritual emptiness, existential anxiety, and intellectual rigidity.

Keywords: Psychological interpretation; the Holy Quran; early precursors; practices.

مقدمة:

الحمد لله حمدا متواليا وإن كان يتضاءل دون حق جلاله حمد الحامدين، ونصلي ونسلم على رسله ثانيا صلاة تستغرق مع سيد البشر سائر المرسلين، ونستعين به تعالى ثالثا فهو نعم المولى ونعم المعين.

تعريف بالدراسة:

يعد القرآن الكريم المرجعيةَ العليا للمسلمين في شؤون حياتهم كافة، إذ اختاره الله سبحانه وتعالى ليكون منهجًا هاديًا ينظّم مسار الإنسان ويقوده إلى بر الأمان. وقد أسفرت هذه المكانة عن نشوء علوم متعددة عُنِيَت بخدمة القرآن الكريم والكشف عن دلالاته ومقاصده، ويأتي في مقدمتها علم التفسير، الذي يهدف إلى بيان مراد الله تعالى من خطابه لعباده. ونظرًا لتنوع قضايا النص القرآني وثراء دلالاته، تعددت مناهج البحث التفسيري، وكان من أبرزها منهج التفسير الموضوعي، الذي يقوم على دراسة القضايا القرآنية المتنوعة دراسة تسفر عن حلول واقعية. ومن بين الاتجاهات المتفرعة عنه الاتجاهُ النفسي، الذي يسعى إلى استنباط المعاني النفسية في الخطاب القرآني، والكشف عن أثره في بناء النفس الإنسانية وتزكيتها. ويأتي هذا البحث في هذا السياق، معنونا بـ: **"التفسير النفسي للقرآن الكريم بين الإرهاصات والممارسات".**

إشكالية الدراسة:

تدور إشكالية هذا الموضوع حول التفسير النفسي من حيث تعريفه ووجوده أصلا ومن حيث ممارساته، وضوابط هذه الممارسات، وهو ما يسوقنا إلى طرح تساؤل رئيس مفاده: ما التفسير النفسي وما إرهاصاته وممارساته؟ وإشكالات فرعية أهمها: ما مدى مشروعية التفسير النفسي للقرآن الكريم؟ ما

جذوره في التراث التفسيري؟ وكيف تجلى عند المعاصرين؟ ما ضوابطه المنهجية؟ وما ملامحه في سورة الفاتحة؟

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الدراسة في أن القرآن الكريم لم يخاطب الإنسان باعتباره عقلا مجردا فحسب بل خاطب مشاعره ودوافعه وميولاته وصراعاته الداخلية، وهذا ما يجعل التفسير النفسي مدخلا علميا يسهم في إبراز الأبعاد النفسية العميقة للخطاب القرآني، ويكشف عن أثره في بناء النفس الإنسانية بل وتقويم سلوكها وتزكيتها.

تبرز هذه الأهمية أيضا في كون التفسير النفسي يُسهم في تجديد الخطاب التفسيري بما يستجيب لأسئلة الإنسان المعاصر وحاجاته النفسية والوجدانية.

كما تتجسد أهميته في الكشف عن الجذور التراثية للتفسير النفسي عند المفسرين وامتدادها في الدراسات المعاصرة، مما يرسخ فكرة أصالة هذا الاتجاه التفسيري وعدم كونه دخيلًا على التراث الإسلامي.

وأخيرًا، فإن هذه الدراسة تسهم في الضبط العلمي لهذا الاتجاه، وبيان ضوابطه المنهجية، والتمييز بين التفسير المقبول منه والتأويل المتكلف، مما يحفظ للقرآن الكريم قدسيته، ويضمن سلامة التعامل مع نصوصه.

الدراسات السابقة:

أما الدراسات السابقة فقد فصلت الكلام عنها في البحث لأن المقام والمقال يستوجب ذلك.

أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى تحقيق جملة من الأهداف العلمية والمنهجية، من أبرزها:

1. التأصيل لمفهوم التفسير النفسي.
2. الكشف عن الجذور التراثية للتفسير النفسي في كتب القدماء.
3. بيان اتجاهاته عند المعاصرين.
4. ضبط التفسير النفسي بضوابط تضمن سلامة الإفادة من علم النفس الحديث، وتمنع الإسقاط أو التأويل غير المنضبط.
5. الاستفادة من أنموذج تطبيقي للتفسير النفسي في القرآن الكريم.
6. المساهمة في تجديد الدراسات التفسيرية وربطها بقضايا الإنسان المعاصر النفسية والوجدانية، مع المحافظة على أصالة المنهج التفسيري.

خطة الدراسة

تضمنت هذه الدراسة مقدمةً وخمسة محاور وخاتمةً، جاءت عناوينها على النحو الآتي:

المحور الأول: تعريف التفسير النفسي للقرآن الكريم.

المحور الثاني: جذور التفسير النفسي في التراث التفسيري.

المحور الثالث: مقاربات التفسير النفسي في الدراسات المعاصرة.

المحور الرابع: ضوابط التفسير النفسي.

المحور الخامس: لمسات نفسية من سورة الفاتحة.

ويأتي تفصيل هذه المحاور فيما يأتي، فإن وفقت فمن الله، وإن أخطأت فمن نفسي ومن الشيطان، والله المستعان.

يُعَدُّ تفسيرُ القرآن الكريم من أهم العلوم التي اعتنت بالقرآن وبيانِ معاني الآيات القرآنية، وهو من العلوم التي نشأت في عهد الرسول ﷺ وعلى يده، فهو أول من شرح وبيَّن للناس ما أشكل فهمُه، وتبعه أصحابه في ذلك، ثم تابعوهم، ثم من جاء بعدهم إلى يومنا هذا. غير أن مناهج التفسير متنوعة، تطورت بتطور العلوم المختلفة، من تحليلي إلى إجمالي ومقارن وإلى موضوعي؛ وهذا الأخير تضمن اتجاهاتٍ عدة وموضوعاتٍ مختلفةً تنطلق من الواقع لتصل إلى رأي القرآن فيها، ولعل من أعظم أبواب هذه الموضوعات الحقلَ النفسي، الذي تنوعت أشجاره واختلفت ثماره، فأتت بأُكُلٍ عظيمٍ أثَّر في النفس البشرية عبر قرون، ولا يزال يؤثر إلى يومنا هذا، وهو ما جعل بعض العلماء يلتفت إلى إعجاز القرآن النفسي، كما أخبرنا الخطابي (ت: 388هـ) حين قال: "في إعجاز القرآن وجه آخر ذهب عنه الناس، فلا يكاد يعرفه إلا الشاذ من آحادهم، وذلك صنيعه بالقلوب وتأثيره في النفوس، فإنك لا تسمع كلامًا غير القرآن، منظومًا ولا منثورًا، إذا قرع السمع، خلص له إلى القلب من اللذة والحلاوة في حال، ومن الروعة والمهابة في أخرى، ما يخلص منه إليه، تستبشر به النفوس، وتنشرح له الصدور، حتى إذا أخذت حظها منه، عادت مرتاعةً قد عراها الوجيب والقلق، وتغشاها الخوف والفرق، تقشعر منه الجلود، وتفزع له القلوب، يحول بين النفس وبين مضمراتها وعقائدها الراسخة فيها"[1].

يتبين من نص الخطابي هذا أن الناحية النفسية لها أثر كبير في إبراز الإعجاز، بل هي صاحبة الريادة فيما يؤثر به القرآن على البشر، وهي ما أشار إليه الجرجاني (ت: 471هـ) عندما تكلم عن البلاغة، واعتبر مصدرها تأثيرها في النفوس.

فالناحية النفسية باب مهم من أبواب القرآن، ندخل من خلالها إلى أغوار الآيات لنتوصل إلى أثرها في النفوس البشرية، وهو ما جعل بعض العلماء يلتفت إلى تفسير القرآن تفسيرًا نفسيًا، فما التفسير النفسي؟ وما أدلة مشروعيته؟ وما أنواعه؟

المحور الأول: التفسير النفسي للقرآن الكريم المفهوم أدلة المشروعية والأنواع

للتعرف على هذا المنهج جيدًا، يجدر بي الوقوف عند معنى التفسير النفسي أولًا، ثم أدلة مشروعيته، ومن ثم أنواعه.

أولا: مفهوم التفسير النفسي للقرآن الكريم

التفسير علم جليل؛ لأنه يتناول كتاب الله، فعظمته من عظمته، واقترانه بالناحية النفسية يدعونا إلى التعمق في الآيات للوصول إلى مكنوناتها المتعلقة بهذا المجال. ولمعرفة هذه المعاني، نقف عند معنى كل مصطلح بإيجاز، لنستجمع المعنى الكلي في النهاية.

أ- معنى التفسير لغة واصطلاحا: عُرِّف التفسير تعريفاتٍ عدةً لغويةً واصطلاحيةً، يمكن إجمالها واستنباط أن التفسير **لغةً** من الفَسْر، وهو الكشف والبيان، وإن قيل من السَّفْر فهو الإظهار والكشف والبيان أيضًا، فهما يحملان نفس المعنى[2].

أما من الناحية **الاصطلاحية**، فله علاقة بالناحية اللغوية، إذ هو علمٌ يُكشف به عن مراد الله تعالى في القرآن الكريم حسب الطاقة البشرية[3].

ب- **معنى النفس لغة واصطلاحا:** عند الكلام عن النفس في **اللغة**، يتكلم العلماء عن الروح أيضًا، فكلاهما وُظِّفا عندهم توظيفاتٍ متقاربةً، بل إن اللغويين أمثال ابن منظور شرحوا النفس بالروح[4].

ومن الناحية **الاصطلاحية**، فقد حملت نفس المعنى، فالنفس هي الروح، كما تحمل معاني أخرى، منها: "ذات الإنسان" و"الهالة التي تحوط الجسم وتلتصق به، فلا تغادره إلا عند النوم أو الموت" فالجرجاني، في تعريفاته، يقول عنها بأنها ذاك الجوهر البخاري اللطيف، وعاءُ الحياة والحس والحركة والإرادة[5].

غير أن المعنى الأكثر ورودًا للنفس هو الذات البشرية، أي الإنسان بقواه المختلفة، حسيةً كانت أو معنويةً، باعتباره وحدةً كاملةً لا تتجزأ، ولا تنفصل فيها الأحاسيس الداخلية عن الإدراك الجسدي.

أنبه هنا أننا نصادف مفهومًا مهمًّا جدًّا، هو **علم النفس**، الذي يتقاطع مع التفسير النفسي في كونه يوظف لفهم الآيات القرآنية المتعلقة بالجوانب النفسية، فهو آليةٌ مساعدةٌ على فهم الآيات.

لكن لفظ النفس مشتركُ المعنى، يُستعمل بمعنى الجوهر والظاهر، ويُستخدم بمعنى الجوهر فقط دون الظاهر، أي مجموع الظواهر والحالات النفسية والخواطر التي تختلج الإنسان[6].

وهذا هو المعنى المستخدم في هذا الموضع؛ لكونه يخدم البحث، فإذا استعملت لفظ النفس هنا قصدت به ما يختلج الإنسان من مشاعر وأحاسيس وظواهر وخواطر مختلفة.

ج- معنى النفس في القرآن الكريم: عند تتبع مصطلح النفس في القرآن الكريم وجدته ورد مئتان وثمانية وتسعون (298) مرة باشتقاقات وصيغ مختلفة، تعددت معانيه حسب مواقعه فجاءت بشكل كبير بمعنى أهل الإيمان وأُخوَّة الدين، وجاء بمعنى الإنسان عموماً بشكل أقل من سابقه، وجاء بدرجة أقل منه بمعنى آدم عليه السلام، وبمعنى الروح، وبمعنى ذات الله تعالى، وبمعنى الإنسان ذاته، وبمعنى القلب، وبمعنى العندية (ما عندي)[7].

كما أحصى الراغب الأصفهاني في مفرداته معاني أخرى كالريح الداخل والخارج في البدن، والتوسع والفرج والظن والرياح[8].

أما ما ركزت عليه في هذا الموضع، فهو ما يتماشى مع موضوع هذه الدراسة، بأن النفس بمعنى **ذات الإنسان** والروح والقلب.

د- حالات النفس في القرآن الكريم: ذكر القرآن خمس حالات تكون عليها النفوس، وهي:

1- **النفس الأمارة بالسوء**، في قوله تعالى: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ (يوسف: 53)، فالآية تصف النفس بأنها تأمر بالسوء، نتيجة الغرائز التي تريد إشباعها، والكامنة في كل نفس، وهذه إحدى حالاتها.

2- **النفس اللوامة**، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾ (القيامة: 2)، قسم يبين قيمة النفس التي تحاسب صاحبها، وتذكره بالصواب، وتعيده إلى طريق الله، فهي المحكمة الداخلية التي تحاكم الإنسان.

3- **النفس المطمئنة**، التي تتبع الفطرة السليمة التي فطر الله الناس عليها، فيكافئها الله بالرجوع إليه وهي راضية، كما في قوله تعالى: ﴿يَاأَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (27) ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً (28)﴾ (الفجر: 27-28).

5- **النفسة السوية**، ذُكرت في القرآن في معرض القسم مما يدل على عظمتها، وعظمة تسويتها ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾ (الشمس: 7)، سواها المولى تبارك وتعالى، وجعل لها القدرة على اختيار التزكية أو الدسّ.

6- النفس الملهمة، ألهم المولى تبارك وتعالى النفوس طريق الفجور وطريق التقوى، فهي من تختار أي الطريقين تتبع ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ (الشمس: 8).

كل هذه الحالات قد تعتري نفسًا واحدةً، فالنفس التي سواها المولى تبارك وتعالى، وألهمها طريق الفجور وطريق التقوى، قد تأمره بالسوء، ثم تلومه على ذلك، وقد تكون مطمئنة، فتنال رضوان الله، والله أعلم.

هـ- معنى التفسير النفسي للقرآن: عُرِّف التفسير النفسي في مواضع مختلفة، تقاربت معانيها وإن اختلفت مشاربها، فمنهم من عرفه على أساس تفسير الآيات التي تتناول الجوانب النفسية، ومنهم من ذهب إلى تعريفه على أساس استنباط الجوانب النفسية من كل آيات القرآن، وهو ما يسميه البعض سيكولوجية القرآن(9).

وكما نلاحظ، فهذا يشكل فارقًا جوهريًّا بين التعريفين، غير أنني، بعد جمع معاني المصطلحات السابقة، وتتبع تطبيقات العلماء، توصلت إلى أن التفسير النفسي الذي مارسه المفسرون هو بمعناه الأول، والذي قلت في تعريفه إنه:

"اتجاه من منهج التفسير الموضوعي يرمي إلى بيان مراد الله تعالى من الآيات التي تناولت الجوانب النفسية في القرآن كله أو جزء منه حسب الطاقة البشرية للوصول إلى نتيجة قرآنية حوله".

عند ملاحظة هذا التعريف، أجده أولًا بيَّن ماهية المعرَّف، فقال: "اتجاه من منهج"؛ لأن التفسير النفسي نوع من أنواع التفسير، الذي هو في أساسه علم، والتفسير الموضوعي منهج من هذا العلم، والتفسير النفسي اتجاه من اتجاهات التفسير الموضوعي؛ لأن الاتجاه هو ما يهدف إليه المفسر من تفسيره، لأجل هذا سُمِّي الاتجاه العلمي واللغوي وغيرهما اتجاهات التفسير(10).

وأشار إلى الجانب التفسيري بقوله: "بيان مراد الله تعالى من الآيات حسب الطاقة البشرية"، وهذا من أشهر تعاريف علم التفسير.

وركز على الناحية النفسية دون غيرها من المعارف الأخرى، من اجتماعية أو تربوية أو اقتصادية أو علمية أو غيرها، مما يمكن أن نَسِم به التفسير الذي يهتم بهذه الجوانب.

أما "القرآن كله أو جزء منه" فهو بيان لأنواع التفسير النفسي، فمنه من يقوم على جمع كل الآيات المتعلقة بالناحية النفسية، وهو ما يسمى بسيكولوجية القرآن أو دافعية القرآن، أي الأهداف النفسية للقرآن كله، كخاصية الشفاء والراحة وغيرها. كما يتناول تتبع الآيات القرآنية آيةً آيةً، وإبراز ما انطوت عليه من نواحٍ نفسية، أو تخصيص جزء منه كالسورة أو كمٍّ معين من الآيات، وهو ما عليه العمل غالبًا، أو اختيار جانب من الجوانب النفسية كالطمأنينة مثلًا أو الخوف أو الحزن أو غيرها، من خلال كل آيات القرآن أو جزء منها، أو سورة قرآنية.

واختتم التعريف بالنتيجة، وهي الهدف من هذا المنهج، وسواء كانت هذه النتيجة سنةً نفسيةً قرآنيةً أو قاعدةً نفسيةً تحكم الإنسان أو تصورًا عامًا حول هذا الموضوع.

استكمالًا للتعريف بالتفسير النفسي، يجب أن أفرق بينه وبين ما يقع اللبس فيه من تفسير نفسي تربوي، تكلمت عنه مجموعة من العناوين أمثال: التفسير التربوي للقرآن الكريم لعبد الرحمن بن معاضة الشهري، والتربية القرآنية لعبد الرحمن حبنكة الميداني، والمنهج التربوي في القرآن الكريم لمحمد قطب، والقرآن ومنهج التربية لعبد الكريم بكار.

وأفرق بينه وبين علم النفس الحديث، الذي تتكلم عنه المؤلفات المعاصرة.

و- الفرق بين التفسير النفسي والتفسير النفسي التربوي: من خلال التسمية يتضح أن الفرق بينهما في الهدف؛ فالتفسير النفسي يسعى إلى إبراز مكنونات النفس في القرآن الكريم وفهمها وعلاجها،

بينما يسعى التربوي إلى بناء النفس وتقويمها. فما أفهمه بالتفسير النفسي أبنيه وأصلحه بالتربية النفسية. كما أشير إلى فارق جوهري آخر، هو أن التربوي يهتم بالسلوك، بينما يهتم النفسي بالنفس الداخلية.

ومثال ذلك تفسير قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (الرعد: 28)، فالتفسير النفسي يركّز على حالة الطمأنينة النفسية، ويبيّن أثر الذكر في خفض القلق والاضطراب الداخلي، ويفسّر الذكر كعامل استقرار نفسي وعلاج للتوتر، فهو يجيب عن تساؤل: كيفية علاج القرآن للقلق النفسي. في حين يهتم التفسير النفسي التربوي بتربية القلب على الذكر، ويوجّه الناس إلى اعتماد الذكر كمنهج تربوي يومي، كما يركز على بيان دور الذكر في تنشئة الفرد المتوازن، فهو يجيب عن تساؤل: كيف يربي القرآن الناس على الذكر؟

ز- الفرق بن التفسير النفسي وعلم النفس: سبق بيان التفسير النفسي للقرآن الكريم الذي يهتم ببحث النفسيات الواردة في القرآن، سواء كانت مشاعر كالخوف والرجاء واليأس والطمأنينة، أو دوافع نفسية كالحب والكراهية والطمع والحسد، أو مظاهر دينية كالإيمان والنفاق والكفر وغيرها، كتفسير قوله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (المطففين: 14)، يُفسَّر نفسيًا بأنه تراكم للذنوب، مما يولّد حالة نفسية من القسوة والعمى القلبي.

أما علم النفس، فهو علم تجريبي إنساني يدرس السلوك الإنساني والعمليات العقلية دراسةً علميةً، اعتمادًا على الملاحظة والتجربة والتحليل الإحصائي وغيرها من آليات علم النفس. مجاله السلوك الظاهر والباطن من تفكر وانفعالات وتعلم وشخصية واضطرابات نفسية، ويهدف إلى تفسير سلوك الناس، بل والتنبؤ به وضبطه وعلاجه إن احتاج الأمر لذلك. والمنهج المتبع في ذلك التجارب البشرية والدراسات الميدانية وأحيانًا القياس على التجارب أيضًا. مثال علم النفس دراسة القلق بوصفه اضطرابًا نفسيًا، أسبابه العصبية والبيئية، وطرق علاجه وصفات سلوكية للمريض أو دوائية حسب الحالة. فالمرجعية واضحة أنها مختلفة، والمنطلق في التفسير النفسي قطعي، ونتائجه مضمونة، بينما ينطلق علم النفس من الظني ونتائجه مشكوكة.

ثانيا- الأدلة الشرعية على مشروعية التفسير النفسي

الأدلة الشرعية على جواز التفسير النفسي لا تأتي بنصٍّ خاصٍّ باسمه، وإنما تُستفاد من أصول شرعية وقواعد تفسيرية عامة تدل على مشروعية استخراج المعاني النفسية والهدايات السلوكية من القرآن، ومن أهمها ما يأتي:

1- الأدلة من القرآن الكريم

- عناية القرآن بالنفس الإنسانية وأحوالها وعلو مكانتها، فقد أقسم المولى تبارك تعالى بها، مما يدل مرتبتها العالية وقيمتها الكبيرة، ففي قوله تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (7) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (8)﴾ (الشمس)، تقرر وجود **دوافع نفسية داخلية**، بينها المفسرون في تفاسيرهم، وهو ما يجيز دراستها تفسيرًا وتحليلًا، والاهتمام بها والتعمق في مدلولاتها لاستخراج العبر منها.

- بيان القرآن للمشاعر والانفعالات في كثير من المواضع، مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا (19) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا (20) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا (21)﴾ (المعارج)، مما يدل على توجيه القرآن للناس إلى هذا الجانب في النفس البشرية، وضرورة البحث في هذه الخبايا وكشف مكنوناتها للاستفادة منها، وهذا **تحليل نفسي قرآني صريح** لطبيعة الإنسان وسلوكه.

- ذكر القرآن لأمراض القلوب وحالاتها مما يدل على أهمية التوجه إليها والانشغال ببيانها والاستفادة من التوجيهات القرآنية إليها واستنباط العلاجات لها، من ذلك قوله تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾ (البقرة: 10)، فالمرض هنا **معنوي نفسي**، مما يدل على مشروعية تفسيره نفسيًا.

2- الأدلة من السنة النبوية

- اعتبار البعد النفسي في التوجيهات النبوية، فقد اهتمت السنة بالجوانب النفسية سواء في التأصيلات أو في مراعات نفسية المخاطبين، أو في غيرها مما اهتم النبي ببيانه للناس مثل قوله ﷺ: "ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب"[11]، فالحديث أصل من الأصول النفسية المهمة في **صلاح النفس، وتأثيرها على السلوك**.
- مراعاة الدوافع النفسية في التعليم والإرشاد للناس ومراعاة أحوالهم وخاصة استعداداتهم لتلقي الخطاب الموجه إليهم فقد قال ﷺ: "يسِّروا ولا تعسِّروا، وبشِّروا ولا تنفِّروا"[12] وهذا دليل على فهم **الاستجابات النفسية** للمخاطَبين، والإحاطة بأحوالهم النفسية.

3- الأدلة من عمل السلف والمفسرين

- تفسيرُ السلف لأحوال النفوس، واهتمامُهم بالجوانب الروحية، وتزكيةُ النفوس، وإحياءُ القلوب، مما تكلم به أبو حامد الغزالي أو ابن القيم وغيرهما، فكلها أصولٌ للتفسير النفسي للقرآن الكريم. فقد بيَّن ابن القيم رحمه الله، في تفسير قوله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (المطففين: 14)، أن الذنوب تُحدِث قسوةً وظلمةً نفسيةً[13]، وما هذا إلا تحليلٌ نفسيٌّ للسلوك الإيماني.
- كلامُ العلماء في مقاصد القرآن عن إصلاح النفوس، وتخلية القلوب، وتطوير العقول، وشحذ الهمم لاتباع طريق الصلاح. فها هو ابن تيمية رحمه الله تعالى يقول: "القرآن فيه من الحكمة والمعرفة ما يُصلح القلوب والعقول"[14]، مبيِّنًا أثرَ القرآن في تزكية النفوس، وإصلاح القلوب والعقول، فهو يجمع بين الحكمة المصلحة للإرادة والعمل، والمعرفة المصلحة للعلم والعقل. كما يقرر ابن تيمية رحمه الله أن القرآن "يعالج أمراض الشبهات والشهوات"، فهو يقوم العقل والقلب معًا، لا أحدهما دون الآخر[15].

ومعلومٌ أن إصلاح القلوب يقتضي فهمها وتحليلها، وهو ما يقوم به التفسير النفسي.

4- الأدلة من القواعد التفسيرية والأصولية المؤيدة

استعان المفسرون بمجموعةٍ من القواعد المعينة على فهم القرآن، كما استند الأصوليون إلى قواعدَ مساعدةٍ على استنباط الأحكام من النصوص القرآنية. ومن هذه القواعد ما يؤصل للتفسير النفسي؛ لأن محتواها يفتح الباب أمام الغوص في معاني الآيات، واستنباط المفاهيم النفسية منها، ومن أمثلة ذلك:

- **قاعدة: العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب**؛ فهي تفتح مجال فهم الحالات النفسية العامة في الآيات القرآنية. فهذه القاعدة تبين أن تعلق الحكم بالسبب حصرٌ على حالة معينة فقط، واستثناءٌ للحالات الأخرى المشابهة التي تعتريها نفس الظروف، ونفس المشاعر، ونفس الأسباب. ولأجل ذلك قررت هذه القاعدة أن كل من كان تحت نفس الظروف النفسية والاجتماعية والسياسية والعقدية وغيرها، كان له نفس الحكم. وهذا يسوق إلى الغوص في فهم الملابسات المحيطة بالآيات القرآنية، التي من بينها الناحية النفسية.
- **قاعدة: القرآن صالح لكل زمان ومكان**؛ قاعدةٌ مهمة تبين تماشي القرآن مع كل الأجيال، وكل التطورات، وكل العلوم، ومن بينها علم النفس. فاستنباط قواعده من القرآن أسلم من أخذها من العلوم الإنسانية الحديثة القابلة للخطأ. كما تسمح هذه القاعدة للمفسرين بالإفادة من العلوم الإنسانية الحديثة،

ومنها علم النفس، ما لم تخالف النصوص الشرعية، للاستعانة بها في فهم القرآن وتفسير الظواهر النفسية المختلفة.

ثالثا- أنواع التفسير النفسي للقرآن

اختلفت المناهج التي مارسها المهتمون بالتفسير النفسي، كما اختلفت تعاريفهم له، وهذا الاختلاف، في غالبيته، كان نتيجة المنطلق الذي اعتمده كل واحد. فأحصيت عددًا من الأنواع، صنفته وفق ثلاثة اعتبارات: المصدر، والكم، والمنهج المتبع.

أولًا- المصدر

أقصد بالمصدر المنطلق في بيان ما تتضمنه الآيات القرآنية من معانٍ نفسية: أهو من الآيات القرآنية أم من التجارب البشرية؟ وهو، بهذا الاعتبار، يصنف إلى صنفين:

1- فهم القرآن وفق الآليات البشرية:

بمعنى فهم القرآن انطلاقًا من علم النفس الوضعي، فالمرجع هو الآليات النفسية التي يوظفها المفسر لاستنباط معاني الآيات القرآنية، وهو ما وظفه عبد الرحمن كساب أوغلو في مقالاته وفي تعريفه. ومثل ذلك تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾ (طه: 7)، فيفسر «أخفى» بأنه العقل الباطن، أو تفسير قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾ (البقرة: 204)، بكون الإنسان مزدوج الشخصية، أو ثنائي القطب، وغيرها.

وقد يكون هذا النوع خاصًّا بتفسير سورة معينة أو موضوعٍ محدد.

2- فهم القرآن انطلاقا من القرآن:

معنى تتبع الآيات القرآنية واكتشاف ما فيها من معانٍ نفسية، دون البحث عن فكرة معينة مسبقة، وإنما إبراز ما في القرآن من معانٍ نفسية، والتركيز عليها دون غيرها، وهذا هو المطلوب.

ثانيًا- الكم:

وأقصد بالكم هنا حجم الآيات المجموعة في الموضوع، وهو، بهذا الاعتبار، يصنف إلى ثلاثة أصناف:

1- التفسير النفسي للقرآن كله: بمعنى تتبع كل الآيات القرآنية، ومحاولة تفسيرها تفسيرًا نفسيًا، آيةً آيةً، وسورةً سورةً، مع الغوص في أغوارها واستنباط المعاني النفسية التي اشتملت عليها.

2- التفسير النفسي من خلال كم من الآيات أو السور: بمعنى تحديد مجال البحث من البداية، كأن نبحث عن التفسير النفسي في جزء عمَّ، أو المعاني النفسية في سورة البقرة وآل عمران، أو المئين، أو غيرها.

3- التفسير النفسي لسورة معينة: بأن نحدد السورة التي نبغي تفسيرها تفسيرًا نفسيًا من البداية، ثم نقوم باستنباط المعاني النفسية الموجودة فيها، كتفسير سورة مريم تفسيرًا نفسيًا، أو سورة يوسف، إلى غير ذلك.

ثالثا- المنهج المتبع:

وأقصد بالمنهج هنا طريقة العمل، أي ما الذي نهدف إليه من خلال هذا التفسير وهو بهذا الاعتبار يصنف إلى ثلاثة أصناف أيضا:

1- فهم القرآن ككيان واحد له أثر نفسي:

وهو ما تناولته مجموعة من المؤلفات، خاصة تلك التي تعرضت لموضوع الإعجاز القرآني، حيث يركز هذا المنهج على بيان أوجه التأثير النفسي للقرآن في النفوس البشرية، من زمن النبوة إلى يومنا هذا.

فبمجرد سماع القرآن يحدث تأثير نفسي، أو بتمعن الآيات القرآنية نجد أن لها تأثيرات مختلفة على الإنسان؛ فمنها ما يثير الشعور بالرحمة الإلهية، مثل قوله تعالى: ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (الزمر: 53)، أو إثارة الشعور بحقارة الدنيا وبالرجوع إلى الله، كقوله سبحانه: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ (34) كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ (35)﴾ (الأنبياء)، أو إثارة الإحساس بوجوب الإنابة إلى الله في كل الأمور، وقطع الرجاء إلا منه سبحانه، في قوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ (78) وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ (79) وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ (80) وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ (81) وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ (82)﴾ (الشعراء)، إلى غير ذلك من الأمثلة التي تبين تأثير القرآن في النفوس.

2- التفسير النفسي لموضوع من المواضيع النفسية:

بمعنى أن نحدد موضوعًا نفسيًا معينًا من البداية، ثم نتتبعه في القرآن؛ لمعرفة التصور القرآني حوله. وتجدر بنا الإشارة هنا إلى أن كم الآيات المجموعة يخضع لما سبق ذكره في اعتبار الكم، أي أنه ينقسم إلى:

أ- التفسير النفسي لموضوع نفسي من خلال القرآن الكريم كله: أي تتبع موضوع من موضوعات النفس بجمع الآيات المتعلقة به، والإحاطة بالمعاني النفسية التي تطرحها، كموضوع الطمأنينة في القرآن الكريم كله.

ب- التفسير النفسي لموضوع من خلال كم من الآيات أو السور: كتتبع موضوع الأمن النفسي من خلال سورتي البقرة وآل عمران، أو جزء تبارك...، فهو فهم للموضوع في حقل قرآني، ووفق نماذج مختارة.

ج- التفسير النفسي لموضوع من خلال سورة: كتتبع موضوع الحزن، أو الحسد، أو الغيرة في سورة يوسف عليه السلام.

3- استجلاء الرموز والإشارات من الآيات القرآنية للوصول إلى الأثر النفسي لها

يتتبع المفسر في هذا النوع آيات القرآن ليستنبط منها الهدايات النفسية التي تشير إليها، دون تكلف أو تعسف، منطلقًا من النص، كاشفًا عن المكنونات الداخلية للآيات، مبرزًا لآثارها النفسية على الإنسان.

وهذا هو النوع الذي نتمنى أن يهتم المفسرون به؛ حيث يكون المرجع هو القرآن الكريم، عكس ما سبق من فهم القرآن بآليات علم النفس. فهذا النوع استنباطٌ للآليات النفسية من القرآن الكريم، بحيث نبحث عن النفس الإنسانية في القرآن؛ لأننا عندما نقرأ القرآن فإننا نقرأ أنفسنا وشخصياتنا كما يصفها القرآن، نقرأ ما يسرنا وما يضرنا، نقرأ مسار النجاح ومسار الفشل، وغيرها. فالقرآن يشتمل على أصول علم النفس بالمنظور الرباني بما يصلح لنا ويصلحنا، حيث يكون القرآن هو المرجع وليس العكس.

كتفسير ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ بأنها إحساس بالأمان والسلام الداخلي والخارجي، ما دامت كل أمور الإنسان محاطة بأسماء الله: الرحمن والرحيم، التي تعطي الإنسان ثقة بأن كل تقديراته سبحانه فيها رحمة بعباده، وألا أحد يمكنه أن يؤذي من كان في حرز بسم الله؛ فهو الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء. كما يستشعر ذاكر البسملة معية الله في كل أموره، فيعطيه ذلك الإحساس بالقوة، كما تعطي البسملة صاحبها في كل حالاته الإحساس بالوصول إلى ما يصبو إليه، فهي تشعر الخائف بالأمان، والمستغيث بإجابة الدعاء، والمغلوب بالنصرة، وكل مكسور بالجبر، وغيرها من المشاعر التي تعتري الإنسان.

المحور الثاني: جذور التفسير النفسي في التراث التفسيري

أصول التفسير النفسي في التراث التفسيري قديمة، وإن كانت التسمية وافدة من علم النفس الحديث، إلا أن لها امتدادات أصيلة في تفسير السلف والعلماء، وإن لم تُصَغْ يومئذٍ بمصطلح "نفسي".

يمكن تلمس هذه الجذور من خلال عناية القرآن نفسه بالنظر النفسي، وبالنفس الإنسانية، وبتحليل دوافعها وانفعالاتها وتقلباتها، كعنايته بالخوف، والرجاء، والطمأنينة، والقلق، والكِبر، والحسد، والنفاق، والرياء، وغيرها مما يشكل المنطلق الأول للتفسير النفسي.

كما تجلى ذلك واضحًا في سنة النبي ﷺ، وما الكلام عن النيات إلا كلام عن أمر نفسي يختلج الذات البشرية، ويقرر مصير الأعمال ومآلاتها، وغيره مما أشارت إليه السنة النبوية أو وضحته في مواقف مختلفة.

أما إشارات الصحابة والتابعين إلى هذه الجوانب في تفاسيرهم، فقد كانت حاضرة، رغم كون تفاسيرهم إجمالية، إلا أنهم ركزوا على كثير من هذه المسائل، كأحوال القلوب، ومقاصد السلوك، ودوافع الأعمال. مثل: تفسيرهم للنفاق بأنه حالة قلبية قبل أن يكون سلوكًا ظاهريًا، وربطهم بين الإيمان والطمأنينة، والكفر والضيق. وهذا يُعد نواة تفسيرية نفسية.

ومن ذلك اهتمام ابن عباس رضي الله تعالى عنه بالخوف والطمأنينة عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ (الأنعام: 82)، فقال عن تفسيرها: "لم يخلطوا إيمانهم بشرك" فهو بهذا **التفسير**، ربط الطمأنينة النفسية بنقاء الاعتقاد[16].

وعند تحليل حالة الانغلاق النفسي، والرفض الداخلي، قال ابن عباس رضي الله عنه عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (الأنعام: 125)، قال "لا يدخل فيه الإيمان"[17].

بعد أن تلمسنا اهتمام القرآن بالنفس، واهتمام السنة بها، وقفنا مع نماذج من مواقف الصحابة والتابعين المبينة للتفسير النفسي، نحط الرحال عند المفسرين الأوائل، وكيف اهتموا بأعمال القلوب والتفسير النفسي.

- فهذا الطبري (ت 310هـ) قد ربط المعاني القرآنية بمقاصد النفوس وعلل السلوك، وفسر كثيرًا من الآيات بتوجيهها إلى النية والدافع الباطني، مثل تفسيره للآية السابقة من سورة الأنعام[18]، أو تفسير الزمخشري (ت 538هـ) لقوله تعالى: ﴿ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾ (البقرة: 10)، حيث فسّر المرض بمرض الشك والنفاق، وبيّن آثاره النفسية من اضطراب الباطن وعدم الطمأنينة، مشبّهًا فساد الاعتقاد بمرض البدن من حيث اختلال الإدراك. فقد أبرز البعد النفسي البلاغي، خاصة في تصوير الانفعالات وتحليل المواقف الشعورية للكفار والمؤمنين[19].

- أما فخر الدين الرازي (ت 606هـ)، الذي تزعم التفسير النفسي، فقد حلل الآيات تحليلًا نفسيًا دقيقًا، وتحدث عن الخوف، والرجاء، والوسوسة، وحب الجاه، والتعلق بالدنيا، بل ربط بين العقائد والأثر النفسي لها على الإنسان. ومثاله تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ (البقرة: 155)، في مفاتيح الغيب، إذ قال: إن الله تعالى ابتدأ الابتلاء بالخوف قبل الجوع ونقص الأموال؛ لأن الخوف أشدّ على النفس من الألم البدني، فإن الإنسان يتألم بتوقّع

الشر أكثر من وقوعه، كما أن الخوف يورث اضطراب القلب وقلق النفس، وقد يمنع الإنسان من الانتفاع بسائر النعم. ثم يبيّن أن ذكر الخوف أولًا إشارة إلى الأثر النفسي العميق للابتلاء قبل أثره المادي.

فقد بيّن الرازي في تفسيره أن ترتيب الابتلاءات بحسب أثرها النفسي، فتقديم الخوف جاء لشدته على النفس، كما قام بتحليل الشعور الداخلي بحديثه عن القلق، والتوجس، واضطراب القلب، وربط بين الإدراك النفسي والسلوك، حيث أشار إلى أن توقّع البلاء قد يكون أشدّ من البلاء نفسه. كما اهتم بالتفسير المقاصدي الشعوري حين أشار إلى أن الآية تُخاطب النفس قبل الجسد.

- أما المحطة الموالية، فيستوقفنا فيها كل من الجنيد البغدادي (ت 297هـ)، وأبو حامد الغزالي (ت 505هـ)، وابن القيم الجوزية (ت 751هـ)، في كتب الأخلاق وتزكية النفوس، حيث نجد عندهم تفسير الآيات المتعلقة بالنفس والهوى والقلب، وحديثًا دقيقًا عن أمراض القلوب، وتزكية النفس، ومراحل السلوك الإيماني، فعند تناول الجنيد قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (الفاتحة: 5)، فسر العبودية بأنها تصفية القلب من ملاحظة السِّوى وهو تفسير نفسي قلبي للعبادة، يجعلها في حالة تحرر داخلي، وخلوٍّ النفس من التعلق بغير الله[20].

- أما أبو حامد الغزالي، فعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ (الشمس: 9)، قال عن التزكية: إنها تطهير النفس من الصفات المهلكة، كالحسد، والكبر، وحب الجاه.[21]، وهذا تحويلٌ للانفعالات النفسية إلى سلوك إيماني متزن، يجعل من الآية مرجعًا في تزكية النفوس. فالقرآن يُعالِج أمراض النفوس، والفلاح مرتبط بالإصلاح النفسي الداخلي، لا الظاهري فقط.

كما وظف ابن القيم النص القرآني في تحليل الحالات النفسية للإنسان، مثل قوله تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (الرعد: 28)، فبيّن أن الذكر يورث سكون القلب، ويزيل القلق والاضطراب والحيرة؛ لأن القلب إذا تعلّق بالله زال عنه الخوف المرضي[22]، فابن القيم بهذا الكلام قد وضح الطمأنينة التي تنتاب الإنسان توضيحا نفسيًا دقيقًا، باعتبارها انتقال النفس من حالة القلق إلى حالة السكون والهدوء الذي ينجر عن ذكر الله.

فبيّن أن الذكر يورث سكون القلب، ويزيل القلق والاضطراب والحيرة؛ لأن القلب إذا تعلّق بالله زال عنه الخوف المرضي. فابن القيم بهذا الكلام قد وضح الطمأنينة التي تنتاب الإنسان توضيحًا نفسيًا دقيقًا، باعتبارها انتقال النفس من حالة القلق إلى حالة السكون والهدوء الذي ينجر عن ذكر الله.

أما في العصر الحديث، فأعيد استثمار الجذور التراثية السابقة، ولكن أضيفت إليه الاستفادة من العلوم المعاصرة، وعلى رأسها علم النفس الحديث، مع مراعاة ضوابط التفسير عمومًا، ومراعاة اللغة والسياق ومقاصد الشريعة، والانطلاق من النص القرآني في التفسير النفسي خصوصًا. فالتفسير النفسي امتداد منهجي لما كان عند المتقدمين، لا قطيعة فيه مع التراث.

وهذه الرحلة مع القدماء نختصرها في أنماط مختلفة من المؤلفات؛ فمنهم من تكلم عنه ضمن الحديث عن الإعجاز، كالخطابي (ت288هـ) والرماني (ت386هـ)[23] والباقلاني (ت403هـ)[24].

ومنهم من تناوله عند الحديث عن البلاغة كالجرجاني (ت473هـ)[25]، كما اهتموا به لبيان أثر القرآن على النفوس كالقاضي عياض (ت544هـ)[26] وابن القيم الجوزية (ت751هـ)[27] والذي تناوله في تفسيره، وعند تطرقه لتزكية النفس.

ومنهم من أشار إليه ضمن علوم القرآن كالزركشي (ت794هـ)[28] والسيوطي (ت911هـ)[29] .

المحور الثالث: مقاربات التفسير النفسي في الدراسات المعاصرة

بعد تتبع المؤلفات المعاصرة حول التفسير النفسي للقرآن الكريم، أقف على محطتين أساسيتين: محطة المنظرين، ومحطة المطبقين للمنهج.

فالمنظرون منهم من اهتم بالتأصيل والتعريف، ومنهم من عني ببيان الضوابط والشروط، ومنهم من تناوله بالنقد والتحذير. وأستعرضهم بحسب الترتيب الزمني فيما يلي:

أولًا: المنظرون للتفسير النفسي

وهم الذين تناولوا التفسير النفسي بوصفه اتجاهًا تفسيريًا له جذوره وضوابطه، غير أن معظم من كتب فيه اكتفى بالإشارة إليه ضمن موضوعات أخرى، كالإعجاز، والبيان، والقصص القرآني، والتصوير الفني، أو مباحث التزكية، أو عند الحديث عن التناسب القرآني، ولا سيما جانبه الصوتي، أو التفسير البياني، دون أن يفردوه بمؤلفات مستقلة في أغلب الحالات.

وأقتصر فيما يأتي على ذكر المؤلفين الذين وقفت عليهم ممن اهتموا بهذا الاتجاه، مرتبين بحسب التسلسل الزمني[30]، فيما سيأتي:

أ- أصحاب المؤلفات الممزوجة بغيرها: لم تُفرد هذه المؤلفات التفسير النفسي بالبحث والتأليف، وإن كانت قد اهتمت به وأشارت إليه، إلا أن تلك الإشارات جاءت ممزوجة بغيرها من المعارف والموضوعات المختلفة. وفي كثير من الأحيان جرَّهم الحديث عن تلك العلوم إلى الإشارة إلى التفسير النفسي، ولا سيما عند تناول مباحث الإعجاز أو قضايا تفسير القرآن. ومع ذلك، فإن دورهم في التأصيل لهذا الاتجاه يُعد مهمًّا وكبيرًا، ومنهم:

محمد رشيد رضا (ت1354هـ)[31]، والرافعي (ت1356هـ)[32]، والزرقاني (ت1367هـ)[33]، ومحمد فريد وجدي (ت1373هـ)[34]، ومحمد عبد الله دراز (ت1377هـ)[35]، والنورسي (ت1379هـ)[36]، وسيد قطب (ت1386هـ)[37]، وأمين الخولي (ت1385هـ)[38]، وعبد الكريم الخطيب (ت1406هـ)[39]، ومحمد الغزالي (ت1996م)[40]، وعائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ (ت1998م)[41]، وفضل عباس (ت2011م)[42]، ومحمد سعيد رمضان البوطي (ت2013م)[43]، ومصطفى مسلم (ت2021م)[44]، وصلاح عبد الفتاح الخالدي (ت2022م)[45]، وفهد الرومي[46]، وغيرهم ممن يطول المقام بذكر كل من أشار إليه. وقد منح هؤلاء التفسيرَ النفسي مساحةً كافيةً في مؤلفاتهم، أسهمت في إبرازه وإخراجه إلى الوجود بوصفه مصطلحًا مستقلًا، كما أن بعضهم دعَّم ذلك بتطبيقات على نماذج تفسيرية.

ب- أصحاب المؤلفات المستقلة عن غيرها: هؤلاء، وإن كانت مؤلفاتهم متنوعة، وبعضها ركز على الإعجاز أكثر، إلا أنهم أفردوا التفسير النفسي بعناوين مستقلة، كان معظمها في صورة مقالات علمية، غير أنها أسهمت إسهامًا كبيرًا في التنظير لهذا المنهج، ومنها:

التهامي نقرة ألف سنة 1971م سيكولوجية القصة في القرآن[47]، وفي 2001م ألف نجاتي محمد عثمان القرآن وعلم النفس [48]، وسنة 2006م كتب كل من شاكر المحاميد وأحمد عرفات وشويش المحاميد مقالا بعنوان الإرشاد النفسي والتربوي في القرآن الكريم[49]، كتب في سنة 2007م سعيد بن فاتح المغامسي مقال أثر القرآن الكريم في تحقيق الأمن النفسي لدى المسلم[50]، وفي 2015م كتب قويدر قيطون رسالة دكتوراه بعنوان الإعجاز النفسي في الخطاب القرآني دراسة استقرائية تحليلية[51]، وفي 2017م كتب عبد الله عودة مقال بعنوان ملامح الإعجاز النفسي في القرآن الكريم[52]، وما بين 2018م و2021م كتب عبد الرحمن كساب أوغلو ثلاث مقالات في صميم الموضوع، وهي على التوالي: التفسير

النفسي (السيكولوجي) للقرآن تعريفه وسماته[53]، ومصادر التفسير النفسي للقرآن الكريم[54]، وأسباب نشأة التفسير النفسي[55]، وبينها صدر عن عبد المجيد بن محمد السنوسي في 2020م مقال بعنوان: "التفسير النفسي للقرآن: مدرسة مختلفة – تجربة الخليل إبراهيم نموذجًا"[56]، وفي 2022م كتب جابر منصور علي أبو الحمد مقالا بعنوان التأثير النفسي للقرآن الكريم روحانية القرآن بين الإنصاف والإجحاف[57]، وفي 2024م نذكر مذكرة خوازم عائشة بعنوان التفسير النفسي للقرآن الكريم دراسة تأصيلية تطبيقية[58]، ونختم بمقال صدر في 2025م لمازن دباح حسن بعنوان التفاعل النفسي مع القرآن الكريم دراسة تحليلية لتأثير التلاوة على الصحة النفسية[59]، هذه الدراسات أثرت مكتبة التفسير النفسي وأفادت المؤصلين له خاصة.

ولا نغادر الكلام عن هؤلاء دون الإشارة إلى سلسلة فيديوهات حول التفسير النفسي لمنير الخباز بعنوان التفسير النفسي للقرآن الكريم ورؤية السيد السيستاني[60].

ثانيًا: من مارسوا التفسير النفسي تطبيقًا

معظم من كتب في التفسير النفسي ممن سبق ذكرهم طبّق له نماذج بسيطة تبيّن دراسته، لكن من مارسه عمليًا بكثرة هم المفسرون في تفاسيرهم، أمثال الرازي في مفاتيح الغيب، وابن القيم في تفسيره، وسيد قطب في الظلال؛ حيث ركزوا على إبراز البعد النفسي في تصوير المشاعر، وتحليل الانفعالات، وربط الإيمان بالحالة الشعورية. ومحمد متولي الشعراوي، حيث ركّز على تأثير القرآن في النفوس، وأبرز الانفعالات الإنسانية بأسلوب وعظي نفسي قريب من المتلقي[61]، ولعل من أهم الدراسات التي طبّقت المنهج في جانب منه، دراسةُ مجبل عزيز جاسم: "الأثر النفسي للصورة البيانية في القرآن الكريم: سورة البقرة أنموذجًا"[62]، ومذكرة عائشة خوازم التي سبق ذكرها، ومقال "التفسير النفسي للقرآن: مدرسة مختلفة – تجربة الخليل إبراهيم نموذجًا" وهذه كانت محطات تطبيقية في مجال التفسير النفسي، لكنني لم أقف على تفسير كامل للقرآن يتعرض لجميع الجوانب النفسية في آياته كلها، وهو ما آمل أن يهتم به العلماء، خاصة المفسرين في عصرنا؛ لأنه سيقدم فائدة عظيمة للبشرية في المجال النفسي.

المحور الرابع: ضوابط التفسير النفسي

لم يترك علماء التفسير الأمر على إطلاقه، فقد ضبطوا العملية التفسيرية لكلام الله بضوابط تحدد حدودًا واضحة أمام من يريد اقتحام هذا الميدان، تبدأ بشروط المفسر وتنتهي بضوابط كل نوع من أنواع التفسير.

والخوض في التفسير النفسي، كما سبق بيانه، تجشّمٌ لنوع من أنواع التفسير الموضوعي؛ فهو يُصاغ ضمن قالبه، ووفق حدوده، ويخضع لضوابطه. وبما أن التفسير النفسي إبرازٌ لأحوال النفوس أو القلوب، كما يطلق عليها البعض، وبيانٌ للانفعالات الإنسانية والدوافع السلوكية، ولكن في إطار النص القرآني وانطلاقًا منه، لا بإسقاط نظريات نفسية تجريبية على النص القرآني ومحاولة إخضاعه لها، فهذا يجعلنا نقف عند مجموعة من الضوابط، أهمها:

أولًا: أن يكون الفهم نابعًا من القرآن لا حاكمًا عليه

رغم كون المفسر مهتمًا بالجانب النفسي ومركزًا عليه، غير أنه لا يتجاوز معنى الآية ولا سياقها ولا ما تحتمله اللغة العربية، ولا يلجأ إلى ليِّ عنق النصوص القرآنية أو تحميلها ما لا تحتمل. فقد ركز العلماء على هذا الضابط وقرره ابن تيمية عند كلامه عن ضوابط التفسير الصحيح، فقال: "فالتفسير إنما

يكون لما دل عليه اللفظ دلالة ظاهرة، فأما ما لا يدل عليه اللفظ ولا السياق فليس من التفسير في شيء"[63].

ثانيا: أن تفهم النفس في الإطار الشرعي

العقيدة الصحيحة والإيمان السليم هما ما يحيطان بفهم النفس وخباياها، وكل فهم مادي خالٍ من الروح الإسلامية، وبعيد عن البعد الديني، وخاصة الغيبي منه، فهو مردود. فاعتبار النفس أو الروح، كما يطلق عليها البعض، كيانًا مستقلًا عن نواميس الكون، لا يخضع للوحي، هو اعتبار مرفوض، وكل محاولات التدليل عليه خروج عن المنهج السليم الذي اختاره لنا خالقنا لنعيش وفقه، ونتبعه، ونستقي المعرفة منه.

ثالثا: الالتزام بقرآنية الألفاظ

على الباحث في مجال التفسير الموضوعي، والتفسير النفسي خاصة، أن يلتزم بما جاءت به النصوص الشرعية أو المقاصد القرآنية، فيتقيد بألفاظ القرآن، كالقلب، والصدر، والطمأنينة، والخوف، والرجاء، والنفس، والروح...، ولا يتجاوزها إلى أفكار لم تدل عليها النصوص الصريحة، أو تخمينات باطنية بلا قرائن ولا أدلة ترشد إليها؛ فيقع فيما وقع فيه أصحاب البدع المختلفة.

رابعا: عدم تحويل القرآن إلى كتاب علم النفس

القرآن كلام الله، أنزله لعباده ليعبدوه به، ويستعينوا به على اتباع الطريق المستقيم، ففيه المنهج الذي اختاره لهم للفلاح في الدارين. ومن الخطأ اعتباره كتابًا من كتب العلوم، رغم أنه يحوي أصول العلوم ومقاصدها الكلية، وما يحتاجه الإنسان للهداية وبناء العقل والقيم.

لكن إقحام المفاهيم المرضية، والتشخيصات السريرية، وجعل القرآن كتاب علاج نفسي إكلينيكي، أمر مرفوض تمامًا؛ فالقرآن نسترشد به للوصول إلى خبايا النفوس وأمراضها من لدن خالقها والعليم بها، ونتبعه للوصول إلى الحلول الربانية لعلاجها؛ فالحلول من الحكيم الخبير.

خامسًا: تسجيل النتائج القرآنية

من أهم ما يتوصل إليه التفسير الموضوعي النتائجُ القرآنية، فلا يصح البحث دون قطف ثمار الغرس. وهذه الثمار قد تكون نظريات قرآنية، وسننًا نفسية، وقواعد ربانية، وقد تكون تصورًا عامًا حول الموضوع المبحوث، نبنيه بجمع جميع حيثيات الموضوع من كل جوانب الآيات القرآنية التي لها علاقة بالموضوع.

سادسا: توظيف العلوم المختلفة لفهم القرآن

لفهم النصوص القرآنية قد نحتاج إلى معارف مختلفة، ولكن بشرط مهم، وهو أن تكون هذه العلوم خادمة للنص القرآني، يحكمها اللفظ والسياق، لا تتحكم في النص القرآني ولا تتقدمه، وأن تنسجم مع سياق الآيات القرآنية، ولا تتعارض معها أو مع مقاصدها أو مع النصوص القطعية.

ومن أهم الشروط عند استخدام المعارف الخارجية أن تكون هذه العلوم يغلب على الظن صحتها، لا أن تكون علومًا وهمية أو نظريات متغيرة، بل وأحيانًا فروضًا غير مستقرة، خاصة في علم النفس. فمن المهم أن تكون من القوانين العامة أو مما ثبت بالتجربة والاستقراء الواسع، وأن يكون توظيفها لتقريب فهم الآية، لا على سبيل القطع واليقين.

سابعا: عدم لي أعناق النصوص القرآنية

يحترز من تحميل النصوص ما لا تحتمل، كإخضاع النصوص القرآنية الخاصة للتعميم مع وجود ما يصرفها عن ذلك. فكثيرًا ما يذكر القرآن حالات نفسية بعينها نتيجة ظروف معينة، فيصفها بأنها تشخيص ظرفي لا تقعيد عام، فلا يصح تعميمها على شخص معين أو جماعة أو منهج.

ومن ذلك مثلًا ما ذكره المولى تبارك وتعالى عن حالة موسى عليه السلام في قوله: ﴿فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ (القصص: 18)، فقد وصفت الآية حالة موسى عليه السلام، ولكن هذا الوصف آني خاص ومؤقت؛ فهو مرتبط بظرف موسى عليه السلام في تلك الحالة، ولا يصح تعميمه على كل الأنبياء ولا المؤمنين، ولا على جميع حالات موسى عليه السلام.

فقد سجل القرآن لموسى عليه السلام حالات أخرى كان فيها واثقًا بنصر الله وشجاعًا، كموقفه مع فرعون وهو يطارده. فالخوف هنا كان طارئًا نفسيًا، لا قاعدة نفسية عامة.

المحور الخامس: لمسات نفسية من سورة الفاتحة

أختم كلامي بإطلالة مختصرة على سورة الفاتحة، أحاول أن أستشف منها بعض النواحي التي تؤثر في النفوس، والتي أحسست أنها تصلح نموذجًا تطبيقيًا لأحد أنواع هذه الدراسة.

الفاتحة **أساس العلاقة بين العبد وربه**(64)، تؤسس لمعانٍ نفسية مهمة لدنيا الإنسان وآخرته، فهي تبني التصور الإيماني السليم، وتعطي الإحساس بالاتزان الوجداني. وليس هذا فحسب، بل ترشد السلوك الإنساني وتوجهه نحو الصواب، وتبني داخل النفس البشرية دافعية داخلية عظيمة تدفع إلى تقصّي طريق المهتدين لإرضاء رب العالمين. فهي نموذج غني للتحليل النفسي القرآني، أقف مع آياتها حسب معارفي المتواضعة.

سبق الحديث عن البسملة، فهي تزرع الأمان، وتعطي القوة، وتحرر الإنسان من القلق والتعلق بالأسباب، كما تعزز أسماء الله الشعور بالاحتواء، وهو من أهم حاجات النفس الإنسانية.

أما ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾؛ فبينما يعيد الحمد توجيه الانتباه من الحرمان إلى النعمة، وهو أمر أساسي في الحياة النفسية السوية والشعور بالإيجابية، فإنه يُشعر بأن الله مستحق للحمد على نعمه التي علمناها أو لم نعلمها، سواء حمدناه نحن أم لم نحمده؛ فحمده مستمر في كل الأزمنة، ومستغرق لكل الخلائق، وبكل أنواع المحامد.

واسم (الله)، هذه الكلمة المحورية في القرآن الكريم، تحرر الإنسان من ذاته لتشعره بذات الله سبحانه؛ فهي تخرجه من التمركز حول ذاته إلى التوجه إلى خالقه، مالك روحه وكل ما يعود إليه، إلى المنعم عليه، وإلى من تجب له العبادة. وهذا ما ينصرف إلى كل القرآن، فتكرر التركيز على الذات الإلهية في كل السور، وعلى ربط الوجود به سبحانه، وما جاء بعدها إلا بيان لطريقة الوصول إلى الله، وهذا صميم الشعور بربط كل الوجود به سبحانه.

فهذا، كما يشعر الإنسان بالرهبة، فإنه يعطيه الأمان النفسي؛ لأنه بين يدي الله المتصف بكل تلك الصفات.

كما أن وصف الله بـ : "رب العالمين" يعالج شعور الإنسان بالتيه والضياع، ويعرفه بالمعبود الذي، رغم كونه ربًّا لكل العوالم، فإنه يخاطب هذا الإنسان في هذا المكان وهذا الزمان، مع كونه جزءًا بسيطًا من أكوان عظيمة. ويعرّفه بذاته سبحانه، ويؤكد له وجود مربٍّ راعٍ لحياته كلها، نفسية كانت أم وجودية، ويعطيه الشعور بالطمأنينة؛ فهو سبحانه ﴿الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾.

وتكرار: ﴿الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾، يعمّق الإحساس بالرحمة المستمرة، والمستوعبة لعامة المخلوقات، مما يمنع تشكل صور مختلفة لأنماط متنوعة من الآلهة المعبودة عبر الزمن؛ آلهة لا تنفع (كالأوثان)، أو آلهة مخيفة أو قاسية، مما يدفع القلق والاكتئاب. فهذه الصفات الربانية تذيب جليد القسوة النفسية التي تحيط ببعض الناس؛ فالخالق المالك الكبير المتعال رحيم ورحمان بالعباد، فما بال المخلوق المحتاج يقسو على غيره ويتكبر عليه؟

أما قوله سبحانه وتعالى: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ فهذا زرع لفكرة الفناء والحساب التي لها دور نفسي كبير في الشعور بالمسؤولية؛ ففي يوم الدين سيحاسب كلٌّ على ما قدمه. ومع هذا الحساب شعور بالرجاء، فمن يملك هذا اليوم الخطير هو الرحمن الرحيم. كما يشعر قوله: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ بالعدالة الإلهية؛ ففي هذا اليوم سينال كل مؤذٍ عقابه، وسيكافأ كل محسن على إحسانه، فلا ظلم، ولا غضب مكبوت، ولا انفجار عدواني، ولا إحباط؛ فكل سيجد عند الملك المالك ما يستحقه.

أما ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ فهي قمة التوازن النفسي من جميع النواحي؛ تقديم من يستحق التقديم لأننا بحاجة إليه، وتحقيق الانتماء، وأي انتماء؟ انتماء إلى الله، إلى الرحمن الرحيم، الذي يفخر كل كائن بكونه منتميًا إليه، يرجوه ويعبده ويستعين به. وفيها تحقيق الغاية التي وجد الإنسان من أجلها، وهذا قطيعة مع الفراغ الروحي والإحساس بأن وجود الإنسان بلا هدف؛ فهو مخلوق لأداء دور حدده له خالقه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات: 56).

وفي ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ الإحساس بالقوة؛ لأن من نطلب العون منه هو الله، وهو مالك يوم الدين، له القيمومة المطلقة، فهو سبحانه القادر على كل شيء، له التدبير والحفظ والرقابة والتصريف والسلطان، مع كمال العلم والحكمة. لا يحتاج إلى معين، وليس بالعاجز أو الغافل أو الفاني، بل هو حي قيوم، وسيحاسب ويجازي على كل ما استعنّا به عليه.

كما تعطينا ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ الإحساس بضرورة الاعتراف بالحاجة، وهذا الإحساس مهم للصحة النفسية، وهو مقابل لوهم الاستغناء والغرور. وفي الوقت نفسه تدفع الإحساس بالعجز؛ لأن لنا من نستعين به، وهو المنعم المستحق للحمد على إنعامه.

كما نستشعر من هذه الآية القرآنية إحساس التوكل على الله، الذي فيه الراحة النفسية والتسليم المطلق للمعبود، الذي يرتبط كل الوجود به سبحانه، حتى الأعمال البسيطة.

كما أن الاستعانة بالله تعطينا الشعور بعدم الخذلان، وتعطينا الشعور بالقرب منه، والإحساس بأنه يعلم كل ما يحدث معنا؛ فنحن لسنا بمفردنا، فهو معنا ومعين لنا، فنقترب منه أكثر، وهذا فيه خير لنا، والشعور بالخيرية شعور بالراحة والاستقرار.

أما﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ فهو دعاء يعبر عن حاجة الإنسان المستمرة إلى التوجه إلى محور الكون بطلب التوفيق منه إلى ما يرضيه عنه. وجاء الدعاء بصيغة الجمع ليُخرج الإنسان من شعور الأنا إلى شعور الجماعة؛ لأن الخيرية مع الجماعة، وكل طلب للوحدة والأنانية خروج من منطقة الأمان، لأن السلامة في الجماعة الصالحة. كما يحسس الإنسان بمسؤوليته تجاه ذويه وجماعته، فمن واجبه حمايتهم وإرشادهم إلى طريق الهداية بالدعاء لهم.

والمطلوب هو الهداية، فهي الهدف النفسي الذي يشعر الإنسان بالسعادة الحقيقية، وهي المقصد الأساسي من نزول القرآن؛ إذ إن الوصول إليها يورث رضا نفسيًا، وتعزيزًا للذات المهتدية، ودافعية متجددة لمواصلة السعي للاستمرار في طريقها.

كما أن الدعاء في حد ذاته يشعر صاحبه بالتسليم المطلق لله، وبالرضا بما يكون منه، وهذا مكسب نفسي مهم؛ فهو إحساس بالأمان والاستقرار والطمأنينة.

أما كون الدعاء موجّهًا إلى الله سبحانه بكل أوصافه وجلالة قدره، ففيه استشعار لمكانة الخالق وهيبته وإحاطة علمه بكل شيء، وما هذا إلا أمان يسعى إليه الإنسان.

كما في هذا الدعاء تقدير للنفس التي وفقها الله للقرب منه، وسهّل لها التضرع إليه، وأعانها عليه؛ وهذا يحسس الإنسان بلذة معرفة مكانته عند الله، وأنه ليس من المنبوذين، بل هو من الأخيار.

ثم إن طلب الهداية من الله يشبع الإنسان رغبته المستمرة في التوجيه إلى الصواب والمرافقة الآمنة؛ لأنه يواجه قلقًا نفسيًا ناتجًا عن الحيرة وكثرة البدائل، وهذا الدعاء يمنحه وضوحًا قيميًا يحميه من التشتت والاضطراب؛ لأن المطلوب هو ﴿الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾.

و﴿الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ توحيد للمقصد؛ فالهدف واحد، والحق ثابت وواضح لا التواء فيه، يشعر الإنسان بالطمأنينة ويخفف قلقه. وهو طلب دائم للاتزان الداخلي، مما يقلل التناقض الداخلي، ويحقق الانسجام بين الاعتقاد والسلوك دون إفراط أو تفريط؛ فالاستقامة اعتدال، والاعتدال أصل الصحة النفسية.

كما أن معرفة الصراط المستقيم تقدم معنى شاملًا للحياة، فيتضح به لماذا نعيش، وكيف نتصرف، وإلى أين المصير، مما يخفف القلق الوجودي.

كما أن معرفة الهدف تعزز الصبر والتحمل للوصول إلى الغاية المعلومة، وهو ما لا يقصي عامل الابتلاء والامتحان، ولكنه يوضح معيار التعامل معها للوصول إلى الصراط المستقيم.

كما أن طلب الهداية متكرر يوميًا؛ ليحمي نفسية الإنسان من التقلبات النفسية المستمرة بسبب الضغوط المتغيرة والمتنوعة والمتعددة.

أما ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ...﴾ فيتكرر لفظ الصراط ليؤكد أنه الصراط نفسه السابق، فتطمئن النفوس إلى أنه لا لبس في القضية، وأن المقصود هو ذات الصراط نفسه، مما يرسخ هوية نفسية متماسكة: من أنا؟ ماذا أريد؟ كيف أتصرف؟

كما أن الصراط هنا بوصلة داخلية نفسية تضبط القرارات، وتقلل التشتت والتناقض الداخلي، فهي طوق النجاة لمن أراد أن ينعم الله عليه.

وفي بيان النموذج المختار إشباعٌ للحاجة إلى القدوة المحتذى بها؛ فالنفس البشرية تميل إلى السير خلف نماذج ناجحة سوية نالت الرضا، مما يحقق الأمان باتباع من بلغ درجة الإنعام، وهو ما يدفع كل قلق في اختيار المنهج أو حيرة حول من نتبع.

كما أن اتباع المنعم عليهم يشعر الإنسان بأنه يسير في مسار ذي قيمة، لا في فوضى عبثية دون معنى أو غاية.

كما أن الإنعام يتضمن معنى التشجيع بالمكافأة التي قد تكون مادية أو حتى معنوية، وما السلام الداخلي الذي يشعر به الإنسان إلا أحد أنواع النعم، بالإضافة إلى الطمأنينة والرضا. وكل هذه حوافز داخلية للانضمام إليهم، وهو ترغيب يعزز الدافعية من الداخل، يقابل ما سيأتي بعدها.

فالانتماء إلى المنعم عليهم مرتبة تحتاج إلى الدعاء والعمل من أجل الوصول إليها، فهي تحقق الانتماء الاجتماعي الإيجابي نتيجة الارتباط بنماذج ناجحة نفسيًا وروحيًا.

كما أن هذه الآية ترجعنا إلى البداية؛ ففيها تذكير آخر بالنعم، مما يجعل النفس متحفزة لمواصلة المشوار، ولمعرفة هذا الطريق الموصل إلى هذه الغاية التي ترجوها كل البشرية.

وتخصيص الإنعام بالله سبحانه يؤكد للنفس ويرسخ داخلها فكرة مهمة، وهي أن الكل بيده سبحانه وبإرادته سبحانه؛ فالانتماء إليهم يكون بإرادة الله الذي نستعين به ليوفقنا لنكون منهم، وهو ما يجعلنا متزنين مطمئنين. فالإنعام ليس بيد أحد سوى الله، ولو كان بيد غيره لعشنا في قلق رهيب، لكنه أوكل الأمر إليه سبحانه، وهو ما يجعلنا نشعر بالامتنان له.

﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ (الفاتحة: 7)، تحذير من نمط نفسي سلوكي عقدي محدد؛ فالمغضوب عليهم يعرفون الصواب، لكنهم لا يتبعونه ولا يعيشونه، فهو انفصال بين القناعة والسلوك، مما يولد اضطرابًا داخليًا وتوترًا مزمنًا يقود إلى القسوة والهجوم والغضب، وهو ما يحذر منه ديننا، ويقدم البدائل لتفاديه.

كما أن الشعور بالمعرفة قد يقود إلى الإحساس بالتفوق والمكانة العالية (الأفضلية)، مما يقابله الابتعاد عن التواضع والانفتاح على الآخر، وهو ما يسبب نفسيًا رفض المراجعة الذاتية، ومقاومة التعلم بأنواعه، والعاطفي خصوصًا.

الإحساس بالانتماء إلى المغضوب عليهم يشعر الإنسان بالرعب؛ فمعاداة الله سبحانه أخطر ما يمكن أن يحدث للإنسان، وهو ما يولّد الشعور بالنبذ والإبعاد، وينتج عنه غضب داخلي يظهر على صورة تشدد ولوم وعدوانية.

وكرد فعل لهذا الإحساس، يتولد قساوة في الضمير؛ فبدل اليقظة والترشد والترحم في السلوك، فإن صاحبه يجلد ذاته، ويدين الآخرين، ويلقي اللوم عليهم، مما يضعف التعاطف، ويزيد التصلب النفسي، بل والتعنت الفكري.

إن التعرف على هذا النموذج يعطي الرغبة في تفاديه والنفور منه، وهو الترهيب النفسي الذي يشعر به المؤمن، لكن بالمقابل يولّد مقاومة دفاعية للتغيير؛ فهو يعلم أن الكف عما هو عليه مطلوب، لكنه يقاوم لأسباب ذاتية، غالبًا ما تكون حفاظًا على صورته المتعالية أو مصالحه التي يراها مقدمة على الجميع. وهذا ليس بالأمر الهيّن؛ فهو يدخله في صراع داخلي كبير يترجم عادة إلى توتر وغضب وانتقام، وهذا من غضب الله عليه.

وهذه الأحاسيس المتضاربة، رغم أن صاحبها قد يبدو منضبطًا، وحتى ناجحًا عند البعض، إلا أنها تسبب غياب السلام الداخلي وضياع الطمأنينة؛ فلا انسجام لديهم بين القيم الصحيحة العميقة وبين السلوك المتبع.

فالآية الكريمة توضح سبيل النجاة النفسي من هذا الصراع الداخلي السحيق، باتباع النموذج السليم والابتعاد عن النموذج السيئ؛ طريق المغضوب عليهم، هذا النمط المرضي الخطير المتسم بالغضب العدواني الواعي.

أما ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ (الفاتحة: 7)، فالضلال ناتج عن الجهل والتيه، وهو يختلف عن النموذج السابق؛ إذ لا يرى الحق بوضوح، فهو لا يعانده، وإنما لا يعرف الطريق إليه نتيجة غياب البوصلة الداخلية. فصاحبه في قلق وجودي دائم، وقرارات متناقضة، وقيم غير مستقرة، ويتأثر بسهولة بالآخرين، لكنه يعتمد على العاطفة بإفراط؛ لأن المعايير غير سليمة، وهو ما يقود إلى تذبذب الهوية، مما يدفعه إلى البحث عن منطقة أمان نفسي بالهروب من الالتزام، وهو ما ينهكه نفسيًا، ويجعل منه فريسة سهلة للمضللين.

وهذا ترهيب نفسي آخر من الانتماء إلى زمرة منبوذة أخرى، وعلى الإنسان التصميم على الابتعاد عنها باتباع البدائل التي بينها ديننا، والتي علينا الدعاء والاستعانة بخالقنا ليوفقنا لنكون ممن يتبعونها، وأن نكون من الذين أنعم الله عليهم.

يجب أن نسجل هنا أننا لا ندّعي أن هذا تفسير نفسي مستقل، بل هو استثمار نفسي للمعاني القرآنية، كما فعل بعض المتقدمين، كالرازي وابن القيم، والمعاصرين في دراسات التفسير النفسي.

وهذه بعض أقوال المتقدمين في سورة الفاتحة تؤيد ما ذهبنا إليه:

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ قال فخر الدين الرازي: "ابتداءُ الأمور باسم الله يورث القلب سكونًا واعتمادًا على الله"[65]، فيربط الرازي البدء بالبسملة بسكون القلب، وهذا تصريح بالاستقرار النفسي وتحرر النفس من القلق، وهو ما تعبّر عنه المدارس الحديثة بالأمن الوجودي.

أما ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ فقال عنها ابن القيم: "الحمد يتضمن محبة المحمود وتعظيمه والرضا عنه"[66]، فجعل ابن القيم الحمد فعلًا وجدانيًا مكوَّنًا من المحبة والتعظيم والرضا، وهذه أهم عناصر التوازن الانفعالي، وتحرير النفس من السخط والاكتئاب.

أما ﴿الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ فقال أبو حامد الغزالي عنها: "معرفة العبد بسعة رحمة الله تُذهب القنوط واليأس من القلب"[67]، فقد ربط الغزالي الرحمة بزوال اليأس، لما فيه من منع تشكل صورة إلهية قاسية ينتج عنها الخوف المرضي، وهذا أساس مهم للصحة النفسية الإيمانية.

أما ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ فقال الرازي: "الإيمان بيوم الدين يسكّن القلب عند رؤية الظلم في الدنيا"[68]، ويقرر هذا الكلام أن الإيمان بيوم البعث والحساب يؤدي مهمة عظيمة، وهي تسكين القلب، مما يؤدي إلى التفريغ النفسي من الغضب والكبت، وهو ما يمنع تحوله إلى عدوان وقلق مزمن نتيجة الشعور بالظلم.

أما ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ فقال عنها ابن تيمية: "اجتمع في هذه الآية تحقيق التوحيد، وكمال الافتقار"[69]، وبهذا الكلام يقرر مبدأ الافتقار الواعي الذي يحرر النفوس من وهم الاكتفاء والنرجسية، أو العجز والاتكالية المرضية، بل يقودها إلى الاتزان بين الفاعلية والاعتمادية.

أما ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ فقال ابن القيم عند الكلام عنها: "العبد مفتقر إلى الهداية في كل نفس وحركة"[70]، وهو ما يقرر أن الهداية ليست حدثًا واحدًا، بل هي عملية مستمرة متواصلة، وهو ما يوافق مفهوم النمو النفسي المستمر، وتجنب التشتت القيمي، ويؤكد الحاجة المستمرة إلى التوجيه.

أما ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ...﴾ فقال الطبري عنها: "سؤال العبد أن يُلحقه الله بالصالحين"[71]، وهو ما يحقق الانتماء الإيجابي، وبناء الهوية النفسية السوية لدى الشخص، كما يشبع الحاجة إلى النماذج المحتذى بها والقدوة المتبعة.

ومن كل ما سبق نفهم لماذا قرر ديننا الحنيف أن تكون الفاتحة برنامجًا يوميًا لإعادة ضبط النفس الإنسانية؛ فهي تؤسس لطمأنينة النفس، وتدعم العلاقة الروحية بين الإنسان وربه على أساس العبودية والرجاء، وعلى أساس التوازن بين الفاعلية والاعتمادية، بما يعكس التكامل بين البعد النفسي والروحي في القرآن.

خاتمة:

نقول في الختام: إن هذه نافذة حاولنا فتحها على بحر زاخر بالمعارف النفسية النفيسة، تتتابع أمواجه لتُخرج لنا زُبد النفوس ومكنوناتها. ولنسجل في نهاية هذه الدراسة مجموعة من النتائج، أهمها:

- إن التفسير النفسي للقرآن اتجاه من اتجاهات منهج التفسير الموضوعي.
- يختلف عن التفسير النفسي التربوي وعن علم النفس.
- الأدلة على مشروعيته متعددة، من القرآن والسنة وغيرها.
- تؤكد هذه الدراسة وجود التفسير النفسي.
- مارسه القدماء دون ذكر المصطلح، ومارسه المعاصرون بطرق متعددة وبأنواع مختلفة.
- للتفسير النفسي جذور عريقة في التراث التفسيري، وعلوم التزكية، والإعجاز القرآني.
- وله ممارسات مختلفة ومتنوعة عند المعاصرين، وقد ذُكر مسماه في أحيان كثيرة.
- جاءت في مؤلفات مستقلة أحيانًا، وممزوجة بغيرها أحيانًا أخرى، في شكل تنظيرات أحيانًا، وتطبيقات أحيانًا أخرى.
- صنفت أنواعه باعتبارات ثلاثة: المصدر، والكم، والمنهج المتبع.
  - ينقسم باعتبار المصدر إلى:
    - فهم القرآن وفق الآليات البشرية.
    - فهم القرآن انطلاقًا من القرآن.
  - ينقسم باعتبار الكم إلى:
    - التفسير النفسي للقرآن كله.
    - التفسير النفسي من خلال كمٍّ من الآيات أو السور.
    - التفسير النفسي لسورة معينة.
  - ينقسم باعتبار المنهج إلى:
    - فهم القرآن ككيان واحد له أثر نفسي.
    - التفسير النفسي لموضوع من الموضوعات النفسية.
    - استجلاء الرموز والإشارات من الآيات القرآنية للوصول إلى الأثر النفسي لها.

ينضبط التفسير النفسي بضوابط التفسير عمومًا، ويختص ببعضها، منها:

- الانطلاق من القرآن للوصول إلى الحقائق النفسية، لا إخضاع القرآن للنظريات النفسية الوضعية.
- فهم النفس في الإطار الشرعي لها.
- الالتزام بقرآنية الألفاظ.
- توظيف مختلف العلوم لفهم القرآن فهمًا نفسيًا، في حدود ما يسمح به الشرع.
- عدم ليِّ أعناق النصوص القرآنية وتحميلها ما لا تحتمل.
- عدم تحويل القرآن إلى كتاب علم نفس.
- ضرورة تسجيل النتائج من الدراسات النفسية.

يُعد المثال التطبيقي الذي حاول ملامسة الجوانب النفسية التي تضمنتها سورة الفاتحة أنموذجًا على النوع الأخير من أنواع التفسير النفسي، والذي توصلنا فيه إلى:

- أن سورة الفاتحة تزخر بالمعاني النفسية.

- من أهم المشاعر التي تعززها: الشعور بالطمأنينة، والرضا، والاتزان الوجداني، والتوازن النفسي، والاعتدال، والرجاء لمعبود رحيم يتصف بأوصاف ترغبنا في التقرب إليه، والقوة، والأمان، والمسؤولية، والتحرر من القلق والتعلق بالأسباب، والشعور بالاحتواء والانتماء إلى الله وإلى الجماعة المؤمنة، والشعور بالإيجابية، وتحرير الإنسان من الذاتية، والشعور بالرحمة المستمرة والعامة، والعدالة الإلهية، والراحة والاستقرار، والتسليم المطلق، والرضا، ولذة التقرب إلى الله، والصبر المعزز للتحمل من أجل الوصول إلى الهدف، وضبط القرارات، وتقليل التشتت، والسلام الداخلي، والتفوق.
- وتحذر الفاتحة وتعالج مجموعة من المشاعر السلبية، منها: الشعور بالضياع والتيه، والغضب المكبوت، والانفجار العدواني، والإحباط، والفراغ الروحي، والعجز، والتقلبات النفسية المستمرة، والقسوة، والهجوم، والنبذ الداخلي، والتشتت، واللوم، والعدوانية، والتصلب النفسي، والتعنت الفكري، والانتقام، والقلق الوجودي.

التوصيات:

وأوصي أخيرًا بما يأتي:

- ضرورة مواصلة الطريق في ميدان التفسير النفسي، ولا سيما من قبل المتخصصين.
- الاهتمام بالمجال النظري؛ لأنه ما زال يحتاج إلى مزيد من الضبط.
- توسيع نطاق الممارسات التطبيقية؛ لما تجنيه الإنسانية قاطبة من فوائد عظيمة من مثل هذه الدراسات.
- الاهتمام بالتفسير النفسي للسور القرآنية.
- الاهتمام بمختلف الموضوعات النفسية، ولكن بالانطلاق من القرآن دائمًا.

قائمة المصادر والمراجع:

أولًا: كتب القدماء

1- أحمد بن عبد الحليم بن تيمية (ت 728هـ)، مجموع الفتاوى، تحقيق عبد الرحمن بن قاسم، دار الوفاء، المنصورة، ط 3، 1426هـ -2005م.

2- أحمد بن عبد الحليم بن تيمية (ت 728هـ)، مقدمة في أصول التفسير، ضمن مجموع الفتاوى.

3- جلال الدين السيوطي (ت 911هـ)، معترك الأقران في إعجاز القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1407هـ -1988م.

4- جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور(711هـ)، لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، بيروت د.ت.

5- أبو الحسن علي بن موسى القاضي عياض (ت 544هـ)، الشفا بتعريف حقوق المصطفى، تحقيق عامر الجزار، دار الحديث، القاهرة، د.ت.

6- أبو الحسن محمد بن الحسن القشيري (ت 465هـ)، الرسالة القشيرية، دار المعارف، القاهرة، د.ت.

7- أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت 505هـ)، إحياء علوم الدين، دار المعرفة، بيروت، د.ت.

8- الخطابي (ت288هـ) والرماني (ت386هـ) وعبد القاهر الجرجاني (ت 471هـ)، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق محمد خلف الله أحمد ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، القاهرة، ط 3، 1976م.

9- علي بن محمد الجرجاني (ت 816هـ)، التعريفات، تحقيق إبراهيم الإبياري، دار الريان للتراث، القاهرة، د.ط، د.ت.

10- أبو الفضل أحمد بن محمد الباقلاني (ت 403هـ)، إعجاز القرآن، تحقيق أحمد صقر، دار المعارف، القاهرة، ط2، د.ت.

11- أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني (ت 502هـ)، المفردات في غريب القرآن، دار القلم، دمشق وبيروت، تحقيق صفوان عدنان الداودي، ط 1، 1416هـ.
12- محمد بن أبي بكر بن القيم الجوزية (ت 751هـ)، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، دار الكتاب العربي، بيروت، ط 1، 1393هـ -1973م
13- محمد بن أبي بكر بن القيم الجوزية (ت 751هـ)، الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، د.ت
14- محمد بن جرير الطبري (ت 310هـ)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار هجر، القاهرة، د.ط، د.ت.
15- محمد بن عيد الله الزركشي (ت794هـ)، البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفض إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، ط 1، 1391هـ - 1971م.
16- محمد بن عمر فخر الدين الرازي (ت 606هـ)، مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1420هـ - 2000م.
17- محمود بن عمر الزمخشري (ت 538هـ)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار الكتاب العربي، بيروت، ط 1، 1407هـ -1987م.
18- مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت 261هـ)، صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط 1، 1374هـ -1955م.

ثانيا: كتب المعاصرين

19- إبراهيم محمد سرسيق، النفس الإنسانية في القرآن الكريم، دار تهامة، المملكة العربية السعودية، ط: 1401هـ- 1981م.
20- التهامي نقرة، سيكولوجية القصة في القرآن، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1971م
21- الحميضي محمد بن أحمد، مناهج المفسرين، مكتبة العبيكان، الرياض، ط 1، 1419هـ - 1999م.
22- إبراهيم بن صالح الحميضي، مناهج المفسرين، مكتبة العبيكان للنشر الرياض، السعودية، ط 1، 1419هـ - 1999م.
23- أمين الخولي، مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب، دار المعرفة، القاهرة، ط 1، 1961م.
24- بديع الزمان سعيد النورسي (ت 1960م)، رسائل النور، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط 1، 140هـ -1986م
25- سيد قطب (ت1966م)، التصوير الفني في القرآن، دار الشروق القاهرة وبيروت، ط 7، 2004م.
26- صلاح عبد الفتاح الخالدي، البيان في إعجاز القرآن، دار عمار عمان الأردن، ط: 1421هـ - 2000م.
27- عائشة عبد الرحمان بنت الشاطئ (ت 1998م)، الإعجاز البياني للقرآن الكريم ومسائل ابن الأزرق- دراسة قرآنية لغوية وبيانية، دار المعارف القاهرة، مصر، ط: 1404هـ 1984م.
28- عبد الكريم الخطيب (ت 1985م)، إعجاز القرآن في دراسة كاشفة لخصائص البلاغة العربية ومعاييرها، دار الفكر العربي، القاهرة، ط 1، 1383هـ -1964م.
29- عبد المجيد سيد أحمد منصور، علم النفس والأهداف التربوية، دار المعارف، القاهرة، ط 9، 2014م.
30- عمر محمد باحاذق، شرح الرسالة الشافية في إعجاز القرآن الكريم لعبد القاهر الجرجاني، ص23-24، دار المأمون للتراث، دمشق، ط 1، 1418هـ - 1998م.
31- فضل عباس، إعجاز القرآن الكريم، منشورات جامعة القدس المفتوحة، عمان، ط 2، 1997م.
32- فهد عبد الرحمن الرومي، اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 3، 1418هـ -1997م.
33- محمد رشيد رضا (ت 1935م)، الوحي المحمدي: ثبوت النبوة بالقرآن ودعوة شعوب المدينة إلى الإسلام، مؤسسة عز الدين، ط 3، 1406هـ.

34- محمد سعيد رمضان البوطي (ت 2013م)، من روائع القرآن تأملات علمية وأدبية في كتاب الله عز وجل، دار الفرابي للمعارف الشارقة، ط 1، 1427هـ -2007م.
35- محمد عبد الله دراز (ت 1958م)، النبأ العظيم: نظرات جديدة في القرآن الكريم، دار القلم، بيروت، ط 1، 1426هـ -2005م.
36- محمد عبد العظيم الزرقاني (ت 1948م)، مناهل العرفان في علوم القرآن، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1415هـ - 1995م.
37- محمد الغزالي (ت 1996م)، نظريات في القرآن، شركة نهضة مصر، القاهرة، ط: 2005م.
38- محمد فريد وجدي، دائرة معارف القرن العشرين، دار المعرفة، بيروت، ط 3، 1971م.
39- محمد متولي الشعراوي، تفسير متولي الشعراوي، جمع وإعداد أحمد فراج، دار أخبار اليوم، القاهرة، د.ط.ت.
40- مصطفى صادق الرافعي (ت 1937م)، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، المكتبة العصرية، بيروت، ط 3، 1424هـ -2003م.
41- مصطفى مسلم، مباحث في إعجاز القرآن، دار المسلم، الرياض، ط 2، 1416هـ/1996م
42- نجاتي محمد عثمان، القرآن وعلم النفس، دار الشروق، القاهرة، ط 7، 2001م.

ثالثًا: الرسائل الجامعية

43- عائشة خوازم، التفسير النفسي للقرآن الكريم دراسة تأصيلية تطبيقية، رسالة ماستر تحت إشراف قويدر قيطون، جامعة الشهيد حمة لخضر بالوادي، الجزائر، سنة 1445هـ/2024م.
44- قويدر قيطون، الإعجاز النفسي في الخطاب القرآني دراسة استقرائية تحليلية، أطروحة دكتوراه، جامعة قسنطينة، الجزائر، 2015م.

رابعا: المقالات العلمية

45- جابر منصور علي أبو الحمد، التأثير النفسي للقرآن الكريم: روحانية القرآن بين الإنصاف والإجحاف، مجلة كلية الدراسات للبنين بأسوان، جامعة الأزهر، العدد 5، ديسمبر 2022م.
46- سعيد بن فاتح المغامسي، أثر القرآن الكريم في تحقيق الأمن النفسي لدى المسلم، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد بن سعود الإسلامية، العدد 5، 2007م.
47- شاكر المحاميد، أحمد عرفات، شويش المحاميد، الإرشاد النفسي والتربوي في القرآن الكريم، مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة قطر، العدد 24، 2006م.
48- عبد الرحمن كساب أوغلو، التفسير النفسي للقرآن الكريم: تعريفه وسماته، مجلة دار الحكمة، العدد 22، 2018م، ص.11–46.
49- عبد الرحمن كساب أوغلو، مصادر التفسير النفسي للقرآن الكريم، مجلة كلية الإلهيات، جامعة غازي، العدد 2، 2018م، ص.103–150.
50- عبد الرحمن كساب أوغلو، أسباب نشأة التفسير النفسي، مجلة الفكر والتأويل للدراسات والبحوث في العلوم الاجتماعية، العدد 27، 2021م.
51- عبد الله عودة، ملامح الإعجاز النفسي في القرآن، مجلة المدونة، مجلد 12، 2017م.
52- مجبل عزيز جاسم، الأثر النفسي للصورة البيانية في القرآن الكريم: سورة البقرة أنموذجًا، مجلة مركز دراسات الكوفة، العدد 17، 2010م.
53- مازن دباح حسن، التفاعل النفسي مع القرآن الكريم: دراسة تحليلية لتأثير التلاوة على الصحة النفسية، مجلة أوراق ثقافية، العدد 38، 2025م.

خامسًا: مواقع الإنترنت والمواد الرقمية

54- عبد المجيد بن محمد السنوسي، التفسير النفسي للقرآن مدرسة مختلفة تجربة الخليل إبراهيم نموذجًا، موقع أصوات أونلاين، متاح على الرابطwww.aswatonline.com، تم الاطلاع في 2020/06/27م.

55- منير الخباز، مادة مرئية منشورة في موقع تراث الأنبياء للدراسات الحوزوية، متاح على الرابط: www.youtube.com/watch?v=ZslIv12iMH0، تم الاطلاع في 2024م.

الهوامش:

(1) الرماني والخطابي والجرجاني: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، رسالة الخطابي، تحقيق: محمد خلف الله أحمد ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر، ط 3، 1976م، ص 14، 24.

(2) ينظر: محمد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب مادة فسر وسفر، دار إحياء التراث العربي، بيروت د.ت، وأبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت، ط 1، 1416هـ، ص 636 -412.

(3) ينظر: محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، تحقيق: فواز أحمد زمرلي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط: 2015م، 2/ 3.

(4) ينظر: ابن منظور، لسان العرب مادة نفس، ذكر معاني أخرى منها الروع، الدم، الأخ، الإنسان كله، الجسد، العين، الفرج من الكرب، م.س.

(5) ينظر: علي بن محمد الجرجاني، التعريفات، تحقيق: إبراهيم الابياري، دار الريان للتراث، د. ت، د.ط، ص 242.

(6) ينظر: عبد المجيد سيد أحمد منصور، علم النفس والأهداف التربوية، دار المعارف القاهرة، ط: 2014/9م، ص7.

(7) ينظر: إبراهيم محمد سرسيق، النفس الإنسانية في القرآن الكريم، ص 28-30.

(8) ينظر: الراغب الأصفهاني، مفردات القرآن، م.س، ص 818-819.

(9) ينظر: عبد الرحمن كاساب أوغلو (Abdurrahman Kasapoglu)، التفسير النفسي للقرآن الكريم، مقال منشور بمجلة جامعة الإلهيات، 2011م، ص 35.

(10) ينظر: الحميضي، مناهج المفسرين، مكتبة العبيكان للنشر الرياض، السعودية، ط 1، 1419هـ- 1999م، ص 15.

(11) متفق عليه.

(12) متفق عليه.

(13) ابن القيم، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، دار الكتاب العربي، بيروت، ط: 1393هـ-1973م، 454/1.

(14) ينظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى، دار الوفاء المنصورة، مصر، ط 3، 1426هـ- 2005م، 284/7.

(15) نفسه.

(16) ينظر: الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار هجر القاهرة، د.ط، 250/8.

(17) الطبري، جامع البيان، م.ن، 343/8.

(18) الطبري، جامع البيان، م.ن.

(19) ينظر: الزمخشري محمود بن عمر، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار الكتاب العربي، بيروت، ط: 1407هـ- 1987م، 146/1-147.

(20) ينظر: القشيري، الرسالة القشيرية، دار المعارف، القاهرة، د.ت، 43/1.

(21) ينظر: أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، كتاب شرح عجائب القلب، دار المعرفة، بيروت، د.ت، 3/6-8.

(22) ينظر: ابن القيم، مدارج السالكين، 2/458-460.

(23) ينظر: الرماني والخطابي والجرجاني، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، رسالة الرماني، ص87، رسالة الخطابي، م.س، ص 14، 24.

(24) ينظر: أبو بكر الباقلاني، إعجاز القرآن، تحقيق: أحمد صقر، دار المعارف، مصر، ط 2، د.ت، ص 276.

(25) ينظر: عمر محمد باحاذق، شرح الرسالة الشافية في إعجاز القرآن الكريم لعبد القاهر الجرجاني، دار المأمون للتراث، دمشق، ط 1، 1418هـ-1998م، ص 23-24.

(26) ينظر: القاضي عياض، الشفا بتعريف حقوق المصطفى، تحقيق: عامر الجزار، دار الحديث، القاهرة، د.ت، 185/1.

(27) ينظر: ابن القيم الجوزية، الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، د.ت، ص250.

(28) ينظر: محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة بيروت، ط1، 1391هـ - 1971م، ص 291-292.

(29) ينظر: جلال الدين السيوطي، معترك الأقران في إعجاز القرآن، تحقيق: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط: 1407هـ - 1088م، 182/1.

(30) جمعت معظمهم عائشة خوازم في مذكرة ماستر بعنوان: التفسير النفسي للقرآن الكريم دراسة تأصيلية تطبيقية، إشراف قيطون قويدر، جامعة الشهيد حمة لخضر بالوادي، الجزائر، سنة 1445هـ - 2024م، ص 68-77.

(31) ينظر: محمد رشيد رضا، الوحي المحمدي ثبوت النبوة بالقرآن ودعوة شعوب المدينة إلى الإسلام دين الأخوة الإنسانية والسلام، مؤسسة عز الدين، ط 3، 1406هـ، ص 65.

(32) ينظر: مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، تحقيق: درويش الجودي، المكتبة العصرية، بيروت، ط 3، 1424هـ - 2003م، ص 213.

(33) ينظر: محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، تحقيق: فواز أحمد زمرلي، دار الكتاب العربي بيروت، ط 1، 1415هـ - 1995م، 314/2.

(34) ينظر: محمد فريد وجدي، دائرة معارف القرن العشرين، دار المعرفة، بيروت، ط 3، 1971م، 677/7.

(35) ينظر: محمد عبد الله دراز، النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، ط: 1426هـ -2005م، ص 84.

(36) ينظر: بديع الزمان سعيد النورسي، رسائل النور، تحقيق: الملا محمد زاهد والملا زكردي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط 1، 1406هـ - 1986م، ص 586.

(37) ينظر: سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، دار الشروق القاهرة وبيروت، ط 7، 2004م، ص 36.

(38) ينظر: أمين الخولي، مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب، دار المعرفة، ط 1، 1961م، ص 203، 211.

(39) ينظر: عبد الكريم الخطيب، إعجاز القرآن في دراسة كاشفة لخصائص البلاغة العربية ومعاييرها، دار الفكر العربي، مصر، ط 1، 1383هـ - 1964م، 66/2.

(40) ينظر: محمد الغزالي، نظريات في القرآن، شركة نهضة مصر، ط: 2005م، ص 106.

(41) ينظر: عائشة عبد الرحمن، الإعجاز البياني للقرآن الكريم ومسائل ابن الأزرق – دراسة قرآنية لغوية وبيانية، دار المعارف، القاهرة مصر، ط 3، 1404هـ - 1984م، ص 118.

(42) ينظر: فضل عباس، إعجاز القرآن الكريم، منشورات جامعة القدس المفتوحة، عمان، الأردن، ط 2، 1997م، ص67.

(43) ينظر: سعيد رمضان البوطي، من روائع القرآن تأملات علمية وأدبية في كتاب الله عز وجل، دار الفرابي للمعارف الشارقة، ط 1، 1427هـ – 2007م، ص196.

(44) ينظر: مصطفى مسلم، مباحث في إعجاز القرآن، دار المسلم الرياض، ط 2، 1416هـ - 1996م، ص134.

(45) ينظر: صلاح عبد الفتاح الخالدي، البيان في إعجاز القرآن، دار عمار عمان الأردن، ط: 1421هـ - 2000م، ص334.

(46) ينظر: فهد عبد الرحمن الرومي، اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، مؤسسة الرسالة بيروت، لبنان، ط 3، 1418هـ- 1997م، 898/3.

(47) ينظر: التهامي نقرة، سيكولوجية القصة في القرآن الشركة التونسية للتوزيع 1971م.

(48) ـ ينظر نجاتي محمد عثمان: القرآن وعلم النفس، دار الشروق القاهرة ط:2001/7م.

(49) ينظر: شاكر المحاميد وأحمد عرفات وشويش المحاميد، الإرشاد النفسي والتربوي في القرآن الكريم، جامعة قطر، مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، العدد 24، سنة 2006م، صفحات 62-116.

(50) ينظر: سعيد بن فاتح المغامسي، أثر القرآن الكريم في تحقيق الأمن النفسي لدى المسلم، مقال مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد بن سعود الإسلامية، العدد 5، سنة 2007م.

(51) ينظر: قويدر قيطون، الإعجاز النفسي في الخطاب القرآني دراسة استقرائية تحليلية، دكتوراه علوم في الأدب الحديث والمعاصر، جامعة قسنطينة، سنة 2014م/2015م.

(52) ينظر: عبد الله عودة، ملامح الإعجاز النفسي في القرآن، مجلة المدونة، مجمع الفقه الإسلامي بالهند، مجلد 12، سنة 2017م، ص 32-52.

(53) ينظر: عبد الرحمن كساب أوغلو، التفسير النفسي (السيكولوجي) للقرآن تعريفه وسماته، مجلة دار الحكمة، العدد 22 في 2018م ص 11-46،

Hikmet Yurdu, Yıl: 11 C: 11 Sayı: 22 Temmuz – Aralık, 2018/2, ss. 11 – 46

(54) ينظر: عبد الرحمن كساب أوغلو، مصادر التفسير النفسي للقرآن الكريم، مجلة كلية الإلهيات، جامعة غازي، سنة 2018م، العدد 2، ص 103-150، 103-150 Ġ.Ü. Ġlahiyat Fakültesi Dergisi, Güz 2018/9(2)

(55) ينظر: عبد الرحمن كساب أوغلو، أسباب نشأة التفسير النفسي، مجلة الفكر والتأويل للدراسات والبحوث في العلوم الاجتماعية، العدد 27 سنة 2021م، ص 15-78،

Düşünce – Yorum Sosyal Bilimler Araştırma Dergisi, Hikmet Yurdu, Yıl: 14 C: 14 Sayı: 27 Ocak – Haziran, 2021/1, ss. 15 – 78 Abdurrahman Kasapoğlu

(56) ينظر: عبد المجيد بن محمد السنوسي، التفسير النفسي للقرآن مدرسة مختلفة – تجربة الخليل إبراهيم نموذجا –، نشره أحمد شحاتة على موقع https://aswatonline.com/ في 2020/06/27م.

(57) ينظر: جابر منصور علي أبو الحمد، التأثير النفسي للقرآن الكريم روحانية القرآن بين الإنصاف والإجحاف، مجلة كلية الدراسات للبنين بأسوان، جامعة الأزهر، العدد 5، ديسمبر 2022م.

(58) سبق ذكرها.

(59) ينظر: مازن دباح حسن، التفاعل النفسي مع القرآن الكريم دراسة تحليلية لتأثير التلاوة على الصحة النفسية، مجلة أوراق ثقافية، بيروت، لبنان، العدد 38، سنة 2025م.

(60) يشاهد منير الخباز منشور في موقع تراث الأنبياء للدراسات الحوزوية سنة 2024م،

https://www.youtube.com/watch?v=ZslIv12iMH0

(61) ينظر: محمد متولي الشعراوي، تفسير متولي الشعراوي، جمع وإعداد: أحمد فراج، دار أخبار اليوم، القاهرة، د.ت.

(62) ينظر: مجبل عزيز جاسم، الأثر النفسي للصورة البيانية في القرآن الكريم سورة البقرة أنموذجا، مجلة مركز دراسات الكوفة، العدد 17، سنة 2010م.

(63) ينظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى (مقدمة في أصول التفسير)، م.س، 331/13.

(64) أخرج مسلم في صحيحه، تحقيق: فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العرب، بيروت، ط 1، 1374هـ -1955م، "قال الله تعالى: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين..."، رقم 395.

(65) الرازي، مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط 1، 1420هـ -2000م، 89/1.

(66) ابن القيم، مدارج السالكين، م.س، 29/1.

(67) أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، م.س، 93/4.

(68) الرازي، مفاتيح الغيب، م.س، 113/1.

(69) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، م. س، 95/1.

(70) ابن القيم، مدارج السالكين، م.س، 69/1.

(71) الطبري، جامع البيان، م.س، 187/1.